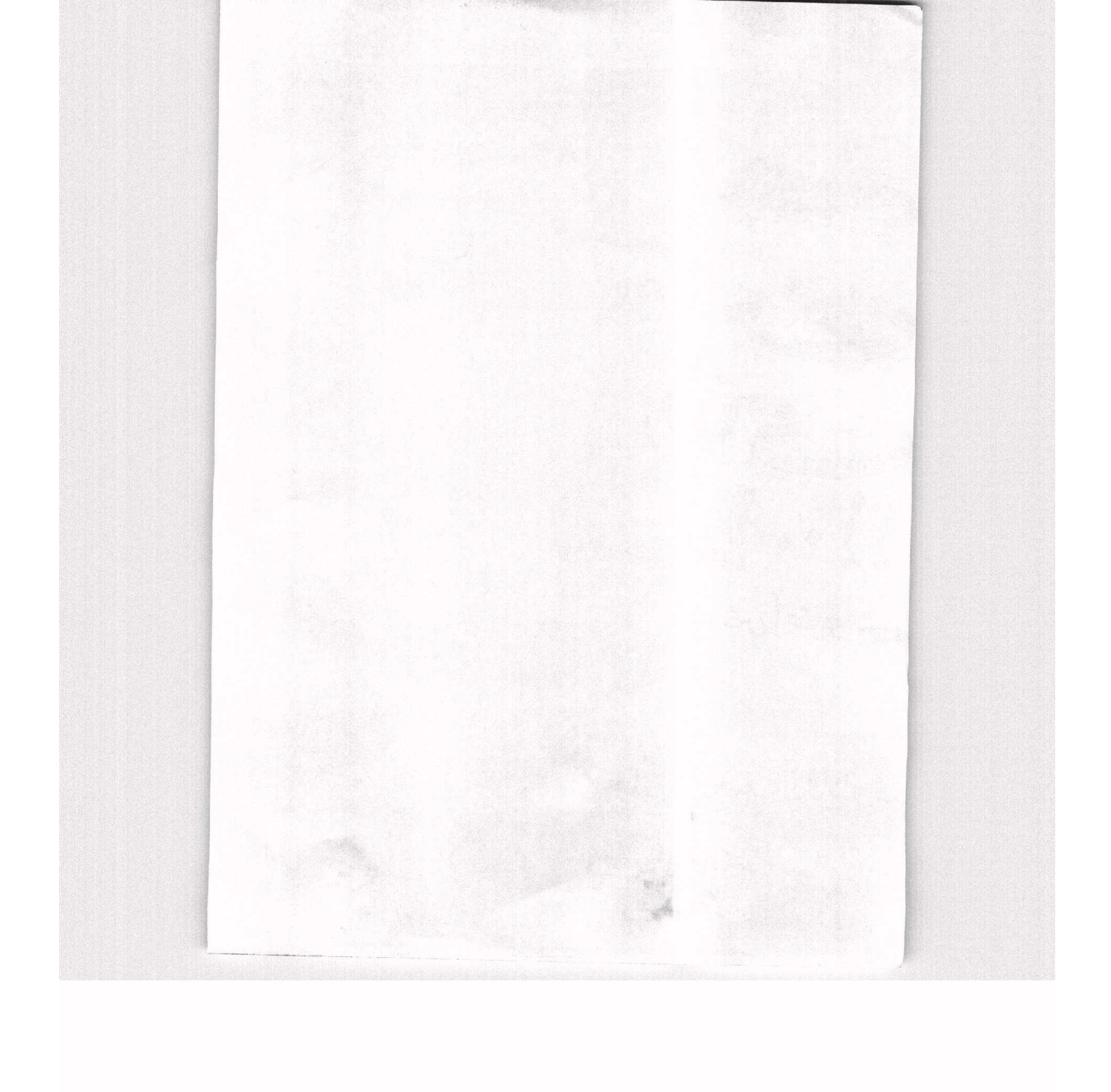

البحث
عن
شى
ما..!!
وقصص أخرى
جمال نجيب التلاوى
تقديم د. عبد الحميد ابراهيم



اهــداء

الى
أسرتى الحبيبة (والدتى ٠٠ والدى ٠٠ اخوتى)
الحب الدائم ٠٠ والعطاء المتدفق ٠

جمال نجيب التلاوى

المقـــدمة

(١)

هناك كلمتان تترددان كثيرا فى قصص جمال نجيب التلاوى ، وهما التــراب وايزيس · ان التــراب يعنى الازمة ، وايزيس تعنى الخلاص · يحكم المؤلف تصوير الازمة واشتدادها،ويجعل اللون الترابى يملا صفحات القصة ويحيط بالبطل من كل جانب · الذى يصرخ فى النهاية ـ وبطريقة قد تهتك فنية القصة ـ مطالبــا بالخلاص ·

(٢)

ان هذا يعنى أن نبرة الحزن غالبة فى قصص جمال، ان عناوين قصصة تكفى فى الدلالة على ذلك (الغثيان أرض الصبار ، دمعه ايزيس ، شجرة الصبار ، ثلاثـة

مقاطع للموت) • بل أن بعض قصصه تتحول الى نفثات شعرية يبكى فيها نفسه ومصير جيله • ان النبرة الغالبة فى قصته «تنويعات موسيقى هادئة» هى النبرةالحزينة ومعزوفة الجيتار تثير الأسى واللوعة ، والغروب يثير الشجى ، واغنية الحزن تنتهى بالـوداع والرحيـــل ، والقصة كلها تنتهى بأبيات شعرية تلخص جوها وتثـير لوعة التذكار •

(٣)

وحزن جمال ذاتى ، هو حقا يتحدث عن جيله ، وكثيرا ما تتكرر فى قصصة عبارة « نحن جيل منهوك » وكثيرا ما يشير الى مسئولية جيل الاباء • ففى قصة « صور من الحب » يدور بينه وبين فتاته التى تزمع ان تهجره هذا الحوار :

« ـ نحن جيل محبط منهوك •

ـ صدقت ، لكن جيل ابائنا له دور كبير » •

ولكن أمثال هذه العبارات الملصقة فى ثنايا القصة لا تخدعنا عن حقيقة التجربة ، فهى لا تزال تجـــربة

ذاتية ، يلوك فيها احزانه ، ويجتر انفعالاته ، لا يطل فيها على الاخرين الا قليلا ، وتقل فيهـــا الفلسفـــة والتساؤلات الكونية ، التى تتشربها القصة ، ويوحى بها الموقف ، لا تلك التساؤلات عن مصيره ومصير جيله الملصقة بالقصة ٠ ان قصته « الغثيان » قـــد يوحى عنوانها ، الذى يحاكى عنوان رواية سارتر،اننا ازاء قصة تعكس موقفا فلسفيا ، وقد يوحى موضوعهـــا الذى يتحول فيه البطل الى صرصار ، كما تحول كذلك فى قصة كافكا ، اننا ازاء قصة تعكس الضغـــوط البورجوازية٠ولكننا فى النهاية نجد أنفسنا أزاء نفثة انفعالية ، تسخط فى عبارات شعرية على المجتمع،(لكن عندما اشتد به الغثيان وأدرك أنه عندما يفرغ كل ما جوفه سوف يستريح،اطمأن بعض الشىء٠٠جعل يفكر فى طريقة يتخلص بها من هذه الصراصير٠ عندما أزداد الغثيان الحاحا عليه كان قد أغمض عينيه،لكن ابتسامة كانت على شفتيه ، لانه بدأ يفكر كيف يفـــرغ ما فى جوفه،ويتخلص من الصراصير ليستريح من الغثيان٠)

(٤)

ولكن تعبيره عن تجربته الذاتية لا يخلو من صـــدق شعورى متدفق ، ان قصته «البحث عن شىء ما» لا يحس

فيها القارىء بملل ، انه ينتقل مع المؤلف من نجوى داخلية الى حوار خارجي ، ومن النظر الى السماء وهو يبحث عن شيء ما، الى النظر فى التراب وهو يبحث مع مجدى عن شيء قد ضاع ، والاسلوب سلس مرن فيها جمال ينسيك حزنه، وهي تنتهى عكس كثير من قصصه نهاية متفائلة ، وتلك النهاية عفوية ونتيجة طبيعية للقصة ، فهى ليست ملصقة ولا صارخة ، يقول « عندما هبت نسائم خفيفة ، ونحن نسير سويا ، كنت ارى أقداما كثيرة تجرى بسرعة فكرت لو كانت لى كل تلك الخطوات ما استطاعت أن تساعدنى على الوصول لكل ما أريد ، نظرت لى طويلا ، ضحكت . ضحكت أصبحت ضحكتنا ضحكة واحدة » .

(٥)

وترتد القصة الى داخله ، انه يسحب الأحداث والشخصيات الى ذاته ، فيكثر من النجوى الداخلية التى يبدأ بها القصة : صور من الحب ، يقظة ضمير ، شجرة الصبار ، ثم تتردد فى ثنايا قصص آخرى . وهى وسيلة فنية صعبة ، قد تجر صاحبها الى حرج الضيق والملل ، ولكنها ليست كذلك عند صاحبنا ، فعنده من الحس الفنى ما يمكنه من تجاوز نقطة الحرج ، فهوقد ينتقل الى حوار خارجي، أو يخلق فى الداخل مستويات

من التعبير ، ينتقل بينهم فيقاوم بذلك آفة الملل ، أن قصة « شجرة الصبار » عن أرملة فشلت فى حياتها الزوجية الاولى ثم جاءها ثان ، فهى فى لحظة نفسية تتردد بين مستويين داخليين تتذكر الماضى البعيد حين جاءها زوجها الاول خاطبا ، وتستحضر صورة أمها وهى تحثها على قبوله ، وصورة أهلها حين لا يدعون لها فرصة الاختيار ، ثم تستحضر الماضى القريب حين جاءها آخر يطلبها ، وتركوا لها فرصة الاختيار، ولكنه انصرف عنها لانها أرملة ، وبهذين المستويين من التعبير تخلص المؤلف من حرج الضيق فكسر آفة الملل .

(٦)

ونتيجة للحصار الذاتى يقع المؤلف فى تكرار بعض الصور الشخصية ، التى يذكرها المؤلف لمجرد الالتذاذ أو الاعجاب ، اذ تكمن فى داخله ، ثم تقتنص فرصة ما فتطفو على السطح دون أن تقتضيها حركة القصة، انه فى الصورة الثالثة من (صورة من الحب) يتحاور مع فتاته، المفروض ان يكون الحوار قصيرا وموجها، يخدم حركة القصة، ولكن المؤلف يترك تساؤلات حبيبته دون اجابة محددة ، ليستغرق فى صورة قد ترسبت فى أعماقه نتيجة لقراءاته الرومانسية انه يقول لها (لا أفهم غير شىء واحد ، وهو أننى لن استغنى عنك ، ولن

اتركك لاحد غيرى ، هذا حقى، أحبك منذ زمن، صحيح صحيح أننا التقينا منذ سنوات ثلاث فقط ، لكن حبنـا يمتد الى الأزمنة الاولى، أزمنة الخير ، الى مرحلة بدايات التكوين • حين كنت وكنت فى البدء ، لقد كنا مخلوقا واحدا ، كائنا واحدا ، اصابنا سهم كيوبيد فتفــرق نصفانا ، وبحثنا طويلا حتى التقينا ، وكل يــوم نحس باننا نقترب اكثر واكثر » •

لقد تعمدت هذا الاقتباس الطويل – وهو جزء من حوار – لأكشف عن حاجة المؤلف – أى مؤلف للسيطرة على صورة وتوظيفها ، ان هذه الصورة تتكرر عنــد جمال كثيرا وقد تكررت فى تلك القصة فقط ثـلاث مـرات •

وهى هنا تسيطر على المؤلف اكثر ما هو يسيطر عليها•

(٧)

ويكون المؤلف رائعا حين يخرج فى احدى المرات عن ذاته ، ان قصته « القزم والعملاق » متطورة اكثر من غيرها فى المضمون والشكل ، فمن حيث المضمون فانها تتعدى حدود السخط الذاتى لتتحدث عن الجموع انها تبدأ فى الليلة الاخيرة من ليالى شهر زاد ، وقد أزمعت أن تكشف حقيقة الملك ، انه قزم على الرغم من

أنه يحاول ان يبدو عملاقا • وان جرائمه هى ستار يحجب حقيقة نفسه ، انها تتسلل اليه عن طريق القصة وتواجهة فى النهاية بالجموع ، التى لا تعرف الزيف دما يعرفه هؤلاء القلة الذين التفوا حوله ، طلبـــا لمصالحهم الخاصة •

حقا ذهبت شهر زاد ضحية كشف الحقيقة . ولكن الملك بدأ يتغير ويقلق ، ثم أتخـذ فى النهايـة جانب الجموع • فالقصة اذن تتميز بالنضج الفلسفى والتحليل النفسى •

ومن حيث الشكل فان المؤلف قد أفاد من شـــكل الليالى ، فهناك حكايتان تتداخلان ، شهر زاد والملك ثم قصته « الأسد والثعبان » التى تقصها شهر زاد من عالم الحيوان ، وهى تريد بذلك أن ترمز الى حقيقـة الملك « مولاى الملك حكايتى الاخيرة ليست عن الانس والجان ، بل من عالم الحيوان ، لكنها يامولاى ليست بعيدة جدا عن الانسان ، بطلاها أسد وثعبان ، ثـم جموع • جموع كثيرة يامولاى •

ربما تستطيع أن تعرف من الأسد ومـن يامولاى يكون الثعبان » •

وتمضى شهر زاد تقص قصتها ويقاطعها الملك فى الوقت المناسب ، ويدور بينهما حوار قصير وموجه تحاول فيه أن تتسلل الى دخيلة نفسه وأن تطلعه على حقيقتها ٠

« شهريار كان ساهما مفكرا ، قال :

شهر زاد ، سؤال واحد أريد الاجابة عليه ، هل كنت تعرفين هذه الحكاية منذ الليلة الأولى ؟

ـ لا استطيع الاجابة يامولاى ، فى الغد نكمل الحديث ، نم يامولاى ٠

ـ لا استطيع ـ حكايتك اقلقتنى ، لقد ادركت مالم يدركه غيرك يامولاتى ٠ لقد وصلت الى ما كنت اخشى أن يصل اليه غيرك ، عرفت الحقيقة ياشهر زاد ٠

ـ اذن فهمت ما أقصد ياشهر يار ٠

ـ وهل تظنيني أحمق ، انى افهم حكاياك منذ الليلة الأولى ولكنى كنت أدعى عدم الفهم حتى لا تدركى شيئا ، يبدو انك كنت تعرفين كل شىء » ٠

فالقصة اذن تتخذ من الليالى رمزا لاسقاطات معاصرة ، وتنجح فى توظيف شكل الليالى لكى توصل الرمز الى القارىء ٠ وأحيانا تحاكى أسلوب السجع فى الليالى ، ولكن بقدر حكيم لا يشعر القارىء بتكلف

المحاكاة « الخير كثير ، والماء وفير ، لكن طبائع الحيوان غريبة ، وشهواتهم عجيبة ، الأسد من قرب كان يراقب أحوال الغابة ، لم يكن راضيا عما يحدث ، ولم يستطع حتى أن يهمس » ·

(٨)

وجمال مولع بتصوير ضراوة القدر . ان بطل قصته غالبا ما يكون امرأة ، لأن المرأة فى النهاية حصيلة ضغوط اجتماعية وتاريخية · قد تكون هناك محاولة من البطل لمعاندة القدر ، ولكن هذه المحاولة تنتهى غالبا بالفشل · ان التمثال العملاق فى قصة ارض الصبار » هو رمز للقدر الذى لا يرحم « عيناه كانتا جافتين لا حياة فيهما » ، طلبوا منه ان يقدم نفسه قربانا لهذا التمثال ، عاند فى أول الأمر ثم استسلم ، حاول ان يصلح ما فسد وان يقدم زهرة يسترضى بها التمثال العملاق ولكن حبيبته اختطفت الزهرة ، ورمتها الى الارض،وتركته لحزنه وانصرفت وانضمت الى أرض الصبار ، وأصبحت مثل شعبها « عظاما ، جماجما ، عيونا بلا حياة » .

ان هذه القصة من أصدق القصص ، وتغوص فى صور نفسية لا يقدر عليها الا فنان وتجسد خبطات القدر ، من خلال أشياء غير محددة ولكنها مروعة

ان صور الناس وهم يسوقونه الى قدره صور ضبابية لأنها ترمز الى شيء أسطورى رهيب « عيونهم مفتوحة لكن جافه ، لا حياة فيها ، عظاما كانوا لكن يتحركون» ·

وهناك نغمة تتردد خلال القصة ، وكأنها النقرة العنيفةفى سيمفونيةبيتهوفن التى تجسد ضراوةالقدر فبعد كل فقرة يكرر جمال هذه الجمل « الأصواتكانت تتعالى تقترب · تطغى على كل شيء ، أصوات يعرفها جيدا ، ساخرة ، هازئة ، تنطلق بلا حدود ، وتعبث بلا رقيب » ، فنحس بايقاع القدر طاغيا . وتنتهى القصة بهذه الجمل فنحس بانتصار القدر ·

(٩)

أما الخلاص عند جمال فهو يكون عن طريق الحب ، فهو غالبا مايرى ايزيس فى عينحبيبته تمخر بزورقها وتضرب بمجدافها وتبحث عن أشلاء ايزوريس·ولكن الحب عنده لا يكتمل ، قد يكون صرحة فى نهاية القصة ، أو مشروعا لا يكتمل،انه يقدم لنا ثلاثصور فى قصته « صور من الحب » ، تنتهى كلها بفشل الحب وانتصار الارادة ، وكأنه حتما أن يكون هناك تناقض بين الحب والواجب ، فى الصورة الاولى تترك خطيبها بعد أن أصيبت بالعمى ، وفى الثانية تتركه لكى تتولى العناية بأبيها

وفى الثالثة تتركه لأنها خضعت لمفاهيم الاسرة وفضلت أخر غنيا ، ان الرابطة التى تجمع هذه الصــور هى ما يلخصه هذا التذييل فى نهاية القصة «حورس ياابن الخير ، يااابن الحب ، ياابننا المنتظر ، الـرابض فى رحم الغيب ، متى تولد ، متى تشرق شمسك لتنقـذ جيلنا المنهك » انها خيبة الامل ٠

(١٠)

ومن ثم فان ايزيس المعاصرة تختلف عن ايزيس الاسطورة ، ايزيس الاسطوررة هى المجــد والبعث والانتصار ، خرجت تلملم أشلاء زوجها ، وتلقــن ابنها حورس مبادىء الخير ، وتنتصر فى النهاية على الشر ، أما المعاصرة فى قصة « دمعة ايـزيس » فهى بسيطة لا تعرف غير زيارات الأولياء والجلوس بجوار النهر ، مريضة بالصرع تحاول خنق ابنتها ، يحملها زوجها فى صندوق خشبى ، (والصندوق الذى أعـد لأوزيريس كان مرصعا بالماس) ٠

تتعالى أمواج النهر (وتركب ايزيس البحر للبحث عن جسد أوزيريس) ، يحكى الأب لابنتــه قصص النهر (وكانت ايزيس تحكى لحورس ماكان وماينبغى أن يكون) ٠ وهكذا يتنقل المؤلف ــ والاقتباســات السابقة منه ــ بين المستوى الأسطورى والمستــوى

المعاصر ليقدم لنا مستوى أسطوريا جليلا يتحكم فى الطبيعة ويفرض مبادئه ، فى مقابل مستـوى معاصر ضعيف يخضع لما حوله ·

(١١)

تبقى نظرة الحزن اذن هى المسيطـرة على قصص جمال · وهى الموضوع الأثير عند المؤلف وهنا يلتقى مع السمة الغالبة فى الأدب المعاصر · ولكن القارىء لا يحس بملل · فقد أوتى جمال من الطاقة الفنيـــة ما يجعله ينوع فى كل قصة ، ليس المهم فى الأدب هو الموضوع ، فهو مجرد مادة خام ، تشبه الحجر للمثال ، واللون للرسام ، ولكن المهم هو شكل الموضوع ، حين يتبلور فى النهاية فى عمل ، يحمل بصمات الفنان· ومن هذه الزاوية فقد أفاد جمال من الامكانيـــات التعبيرية المعاصرة ، فجعل يتنقل من مستوى شعورى الى آخر ، ومن مستوى رمزى الى مستوى فعلى ، ومن حوار مع النفس الى حوار مع الآخر ، بحيث بدت كل قصة وكأنها تجربة جديدة على الرغم من وحـــــدة الموضوع ·

ولكن لا تزال هناك انارة من الشكل التقليدى فى قصص جمال ، فهناك أربع قصص هى : الاحتفـــال،

صرخة ضمير ، الشيك ، حكاية مدرس مستجد ، تعتمد على الموضوع والحكاية • وتحاول أن تقدم مغـــزى للقارىء • حقا قد يستطيع جمال اخفاء هذا المغـزى عن طريق التمكن من تقاليد هذا الشكل ، واستخدام البداية المشوقة ، والتلاعب بأعصاب القارىء ، ولكنه قد يقع فى الأمور النمطية المستهلكة • التى يستعـير فيها الفنان ثوب الواعظ ، ويتخذ من القصة وسـيلة لتبليغ رسالة الى القارىء ، ان قصته « صرخة ضمير » عن موضوع تقليدى ، طالما استهلكه الـــرواد . فهى تتحدث عن المرأة الانانية التى تهمل بيتها . وتتسبب فى وفاة ابنتها، ثم يستيقظ ضميرها بعد فوات الأوان ان القصة هنا ــ كما يوحى عنوانها ــ وسيلة لتبليـغ رسالة ، وليست هدفا فنيا يقصده الفنان لذاته ، بغض النظر عما يحتويه •

وبعد • • • ان هذه المجموعة ارهاص بميلاد فنان جديد ، حقا فيها ذاتية وفيها سخط ، ولكنها مع ذلك تشى بامكانية فنية ، سوف تتبلور فى مجموعة تالية فيها التساؤل الفلسفى ، ومعانقة الآخر ، والتحـكم فى الشكل ، اننا أمام فنان جديد، فانتظروه وباركوه

دكتور / عبد الحميد ابراهيم
رئيس قسم اللغة العربية
كلية الاداب ــ جامعة المنيـا

بسم الله الرحمن الرحيم

صـور من الحب

١ ـ بدايـة : ـ

وأخيرا دخلت عالما جديدا لم أعهده من قبل ، دنيا أخرى طالما طاردتنى فى آحلامى ٠٠ الخوف يمـلأ أعماقى ٠٠ الخوف من طريق لم اطرقه من قبـل ٠٠ تتلاشى الضحكات من حـولى ٠٠ يتلاشى الفـرح والصخب ٠٠ تتـلاشى الرؤى ، همست الشـفاه بكلمات قاسـية ٠٠ (مسكينة جميلة ولـكن ٠٠) اتسمع كلمات المواساة ، والرثاء ٠٠ وقفت جامـدة صامدة اتلقى العزاء وحدى ٠٠ يبكون ما التهمه الموت استصرخهم ان يلزموا الصمت لكن فى صمت ؟ لا أجرؤ أن أنطق كلمة واحدة ٠٠ اتسلل من بينهم ، اتحسس طريقى لحجرتى ٠٠ يلفنى الصمت والكآبة ، وأعاود تذكر كلماتهم ٠٠ ينهار قناع الصبر ٠٠ يسيطر على الخوف الرابض فى الاعمـاق ٠ ارتمى على سريرى ، ابكى بعنف ، ادفن وجهى فى وسادتى ٠٠ اغرقهـا بالدموع ٠٠ تتلاشى الأصوات وكلمات الشفقة والرثاء

اتسمع صوت بكائى عنيفا حزينا (اذا لم اصبر فماذا افعل ؟ ٠٠) لابــــد أن أواجـــه حقيقتى ٠٠٠ لن اهرب ثانية ، سوف اعتاد العالم الجديد المظلم ٠٠ منذ شهور وانا اخاف ان يحدث هذا ٠٠ الانتظار مرير ، والخوف مروع ، ها قد حدث ، ولن يحدث اسوأ مــن ذلك شيء ٠٠ الموت كان يأتينى بطينا بطيئا ثم يحتوينى يلتهمنى ٠٠ انتهى الصراع الذى كان يؤرقنى طيلــة الأشهر الماضية وانتهت الصور المزعجة ٠٠ انتهت كل الصور ٠٠ أصبحت حقيقة عندما قال لى الطبيب ٠٠٠ (ربنا كبير) وقال آخر : (فعلنا ما بوسعنا ٠٠ وليس لديك اى مرض عضوى ٠٠ السبب يكمن فى أعماقك انت فقط التى تستطيع أن تصل لسبب الـداء ٠٠) قال آخرون كلمات أخرى متشابهة ٠ وقالت أمى :(عين واصابتك يابنيتى) ولم أقل أنا شيئا . مددت ذراعى الأيمن ٠٠ احتواه آخى فى ذراعه الأيسر وسرنا فى طريقنا الى المنزل ٠٠

لم يحدث فى حياتى شىء فجائى يمكن أن يسبب لى صدمة نفسية ، حياتى تمر بهدوء عادية ، صحيح أن والدى مات منذ عامين لكن لم يسبب لى ذلك صدمــة كان مريضا وكنا نتوقع ذلك ، أحيانا أنجح فى الكلية وأحيانا أرسب لكن هذا لا يسبب لى صدمة ، كثيرون،

يحدث لهم هذا ·· وأنا لست متعجلة شيئا ، وصحيح تحدث خلافات بينى وبين خطيبى ، لكنها سرعـــان ما تتلاشى وسرعان ما يعود ليهمس لى (أعبد عينيـك ياايزيس آيامى ·· أتشرب من عينيك الأمل والحب) وأضحك بسعادة ·· فكرت كثيرا لكن لم أجـــد ذلك « الشرخ النفسى » الذى سبب لى كل هذا ·· هل هى تراكمات الزمن ·· تتفجر فى لحظة تعادل العمـــــر كله ؟ ··

لابد أن أستسلم للأمر الواقع ·· لابد ان اصنع عالما آخر يختلف عن الذى الفته عشرين عاما مضت ، عالمى الجديد مكلل بالسواد ·· والظلام ·· أخيرا تمتد يدى تتحسس النظارة الســوداء لتضعها فــوق عينى المظلمتين ، أخيرا سوف يحتوى الزجاج الأسود هاتين العينين الخضراوين ، اللتين أصبحتا مبعث قلق وتقزز فى عيون الآخرين بعد ان ظلتا طويلا مبعث جمـــال ومتعة ·· يأتينى صوته من أزمان بعيدة ·· أشـتاق اليه ·· أتشوق لرؤياه ·· لن أراه ثانية ·· هل هذا ممكن ؟ ·· يكفينى الآن أن اتسمع صوته أو اتلمس وجهه (عيناك أجمل ما فيك) اتساءل فى دلال وارسم يعتذر برقة (كل ما فيك جميل لكن عينيك آكثر جمالا، علامات الغضب (الا ترى فى شيئا جميلا غير عينى ؟)

عيناك كتاب مفتوح اقرأ فيه كل أيامى القادمة ، اقرأ فيهما فرحي وسعادتى ٠٠ تمنحنى عيناك الأمل والقدرة على مواجهة صعوبات الحياة)٠٠كان يحتوينى بحبه وحنانه ، كنت أشعر معه بالأمان ٠٠ وضعت مرة نظارة فوق عينى ، رجانى أن أرفعها والا اضعها فى لقاءاتنا ٠٠ كنت اترك له عينى يتشربهما بنظراته الواثقة الثابتة ، لم آكن اعلق بكلمة ، لأنى كنت سعيدة كان صمتى معه قمة سعادتى ٠٠ أما صمتى الآن ٠٠!

لم يدم طويلا انعزالى داخل حجرتى ٠٠ قررت أن أواجه العالم الخارجى ذهبت الى الكلية ٠٠ أحسست بشىء غريب يدفعنى الى الخارج ، تداخلت قدماى اضطربت عند سماع أول صوت اعرفه ٠٠ عند باب الكلية اسلمنى اخى لاحدى صديقاتى قالت له : (عد أنت وسوف ارافقها انا واعيدها للبيت) لم تكن لى ارادة فى شىء ، اترك يدى تتنقل من ذراع لآخر ٠٠ أتسول العون والمساعدة ٠٠ كلما اقتربنا من بعض الرفاق ٠٠ تختفى ضحكاتهم٠٠أسمع كلمات الترحيب وكلمات المجاملة ، وكلمات الرثاء ، وكلمات العزاء٠٠ عندما نبتعد عنهم يتطرق الى همسهم وتعليقاتهم الكريهة لدى لم أجد نفسى فى انسجام معهم ٠٠ لم استرح لاهتمامهم الزائد بى ولعطف الأساتذة على ٠٠

لكن ماذا افعل ؟ .. فقط آمد ذراعى اليمنى لمن يحتويها ويقود خطاى ، تتغير من أم لاخ لصديقة ، والامكنة لا تتغير ..

الزمن توقف عند تلك اللحظة التى بهتت فيها الرؤى فى عينى . ثم اختفت عندما استيقظت من النوم ، لا اشعر بالفرق بين الليل والنهار . كله ظلام ودقات الساعة بطيئة .. والصمت كئيب .. والعطف الذى يحيطنى به الآخرون يشعرنى بضعفى وعجزى ومرضى ..

اتسمع صوتك يأتينى من أزمان بعيدة ، يخترق حاجز الخوف ، وحاجز الظلام ، وحاجز العزلة وكل الحواجز ، كنت أغمض عينى فى أمسيات حبنا .لارسم له مئات الصور ، واستمتع بخيالاتى . الآن مغمضة رغما عنى عيناى أو مفتوحة لا فرق .. عيناى بلا بريق ، بلا ضوء ، بلا رؤيا .. اشعر بالجدب حولى .. لا استطيع ان ارسم صورا جديدة .. تعاد كل الصور الجميلة الماضية لكنها مكللة بالسواد والظلام ..

عندما جاء أخيرا فى احدى آجازاته .. كما اعتاد لنقضيها سويا .. كان لابد آن التقى به .. لبست ملابسى ، ساعدتنى والدتى .. اطمأنت على تسريحة

شعرى قبل لقائه للخروج معه ، وضعت اللمســـات الأخيرة على عينى ٠٠ لم اضع ظل الجفون الأخضر ٠٠ كما اعتدت ولكن وضعت النظارة السوداء ٠٠ تركت له ذراعى الأيمن وسرت معه ، قال لى أشياء كثــيرة ، كانت مشاعره دافئة ومتدفقة ، وعدنى بمئات الوعود ورسم لى صورا مشرقة للمستقبل ، للحظة تسرب الأمل لداخلى ورسمت رغما عنى ابتسامة اسعدته كثيرا ، لم يحدثنى عن عينى ٠٠ امتدت يده لتحتضن أصابعى وكل يدى تركتها له وشعرت بنشوة كبيرة ، تمنيت أن تمتد يدى لتتحسس وجهه وشاربه الاسود الكثيف لكنى طلبت منه العودة ، اذ كنا على ميعاد للعشاء مع أسرتى .

فى طريق العودة فكرت فى أن كل ما قاله لى ربما لم يكن حبا او مشاعر صادقة ربما كان عطفـــا ٠٠ ازداد آلمى ٠٠ أحسست بغصة فى حلقى ٠٠ جلسنـــا سويا على المائدة ، ابتسمت وتحـــدثت معهم كانـــوا سعداء لأننى عدت كعادتى معهم ، وقررت آن اتنـــاول عشائى معهم لا منفردة كالعادة ٠٠ بعد العشاء كانت اللحظة مناسبة لاتخاذ القرار الذى فكرت فيه كثــيرا اذ نزعت « دبلة الخطوبة » من آصبعى ، وضعتها على مائدة الشاى ، قلت له بهدوء (تستطيع أن تلبســـها لفتاة أخرى مبصرة تساعدك بدلا من آن تكون عبئـــا

عليك) لم استجب لكلماته أو كلمات آحد من افـراد أسرتى ، وقفت أتحسس الطـريق الى حجـرتى ، اصطدمت بأحد المقاعد لكنى وصلت حجرتى ، أغلقت الباب بعنف ثم ·· بدلت ملابسى ، تحسست وجهى وجسدى بيدى ثم ارتميت على سريرى ، اغتسل فى دموعى لكى ابدأ حياة جديدة ··

٢ ـ (الدوائـر)

دورة تطوى الآلـم ·· دورة تطوى الحـزن ·· الدوائر تدور ·· والأيام تسبقها أديرها بيـدى لاصلحها ·· ثم بقدمى ·· تطوى الارض ·· يتسلمها صاحبها ·· اقبض الثمن قروشا قليلة ·· لكنهاتكفى يمضون حولى فتدور الدوائر ·· يضحكون بصـوت عال ·· تسبقها أصوات الدوائـر ·· يستعرضـن بملابسهن ورجالهن (أزواج أو خطـاب ·· او ··) يعتصرنى الألم ·· اهرب من تلك المـرائى ·· أثبت عينى على عجلات الدراجة ·· يستعجلنى آحـدهم ·· فأنسى كل شىء ·· أو اتناسى مع الدوران . الدنيا فى عينى دائرة كبيرة تدور سريعا ، ندور معها ·· تدور بنا نتبعها ·

عندما اطلقوا على لقب « أسطى » غضبت فى البدء

اعترضت ٠٠ لكنى مع عجـــلات الدراجـــات ألفت الدوران ألفت الدوائر ٠٠ ألفت كلمة « اســـطى » اصبحت حياتى تدور فى دائرة محددة والد عجـــوز كفيف فى داخل الحجرة التى هى أيضـا ورشـتى ـ الصغيرة ـ وكلب أصفر كبير مقيد بسلاسل كبـــيرة خارج الحجرة ليحرس الورشة ويحرسنى، عندما اصيب والدى بالعمى لم اتردد فى أن أعمل مكانه ٠٠ وارث كلبه ٠٠ لكنى أصبحت امتاز عنه بأشياء أخـــــــر « البنطلون الجينز » الذى البسه ليتحمل العمل مـــع الزيت والشحم ٠٠ وكلمات سخيفة من الزبائـــــن الظرفاء ٠٠ عندما أغضب يقول والدى « لقمة العيش مرة ٠٠ تحملى بدلا من الدوران فى الشوارع نمـــــد أيدينا للمحسنين وغير المحسنين » ٠٠ كلماتك ياوالدى احفظها آلامك أحسها لكن ماذا عساى أن افعل ؟ ٠٠ هل تدرى ماذا تعنى كلماتهم ؟ هـــل تـــرى ما أراه ؟ النساء حولى وفتيات الجامعة يمررن من هذا الشارع الرئيسى كل مساء ، أراهن فى أحلى منظر ٠٠ يدخلن المحلات التجارية يشترين أشياء واشياء وأنا اشترى « اطارات أسلاك ، زيت للتشحيـــم ٠٠ أجـــراس » وجوههن تتلألأ بالألوان ووجهى مغطى بالشحم الاسود بعضهن يركبن العربات وأنـــا اركب دراجـــات ٠٠

الزبائن لاختبرها بعد الاصلاح ·· معظمهن فى أيديهن رجال ·· هل تعرف ياأبى معنى ان يسير بجوارهن رجال ؟ معنى ان يحتوى احداهن رجل ؟ انا يسير بجوارى هذا الكلب المرافق لنا منذ سنين ·

سامحنى للمرة الاولى اكذب عليك ·· سامحنى فلقد أحببته ·· هل تعرف ماذا يعنى الحب ياأبى ؟ لقد الح على كثيرا ·· أصبحت اصدقه ·· سوف اخرج معه اليوم ·· اليوم سوف اترك قليلا الدوائر ·· اتحرر من اسار الدوائر ·· من قيد الدوائر ··

هيا بنا ننطلق ·· نغنى ·· نمشى فى خط مستقيم كرهت الالتواء ·· الدوائر كرهت « اللف والدوران» تحدث مباشرة ·· عرفت أنك تحبنى ·· ماذا بعد ؟ لم لا تقولها مباشرة ·· ماذا بعد الحب ؟ ·· تحدث·· اكتب لى حياة جديدة ·· أعد خلقى ، اخرجنى من رحم الأمس المتعب ·· هاأنذا اتبعك ·· تمنعت طويلا لكنى بعد مقابلتك الأولى ·· أصبحت طوع أمرك·· استعذب كلماتك ·· اقابلك كلما طلبت ·· لكنى فى كل مرة انتظر منك أن تنطق بها ·· لم لا تنطق ؟ كفى ما ضاع من عمرى ·· أخيرا نطقت بها ، «لقد

تعارفنا بالقدر الكافى ٠٠ ولابد ان نتحدث بجدية عن الزواج ٠٠ هل تقبلين الزواج منى ؟ » ٠٠

احس بأن العالم مليء بالزهور ٠٠ زهور صفراء لكن لماذا صفراء ؟ لأنى أحب اللون الأصفر ٠٠ وقميصه فى أول مقابلة كان اصفر ، العالم يغنى من آجلى ٠٠ هل تحسبنى ارفض ؟ ٠٠ هذا ما كنت انتظره لكن لا ينبغى أن اتحدث ، الصمت ٠٠ النظر للأرض فى خجل ٠٠ الكلمة المعتادة ــ « لقد فاجأتنى ٠٠ دعنى افكر ٠٠ بعدها يمكنك مقابلة ابى » ٠٠

حديثه مع والدى كان عنيفا ٠٠ فظا ٠٠ لم أتوقع ذلك ٠٠ ترفق معه ياأبى انه رجل وآنا فى حاجة اليه ترفق معه ياابى ، الا تعرف معنى حاجتى لرجل ٠٠ شوقى لرجل ٠٠ ؟ ترفق معه فلقد ادمنت رؤياه ٠٠ ادمنت لقاءه ٠٠ ادمنت حبه أن اترك له يدى يتملكها يتملك قلبى ٠٠ اشعر بنشوة كبيرة ٠٠ يضغط على يدى بعنف ، يأسرنى بنظراته ويفاجئنى بسؤاله : ــ

ــ من الغد سوف تتركين العمل اليس كذلك ؟ ٠٠

يخرج ردى ضعيفا واهيا ٠٠

ــ لم ٠٠ ؟

ـ لانى لا أريد ان تكون زوجتى اـطى ونحـــن لا نحتاج لعملك ٠

ـ لكن والدى يحتاج لى ولعملى ٠

ـ لن تعيشى طوال عمرك لوالدك ؟ كفى ما فعلتيه من أجله هل تفقدين حياتك من أجله لقد عاش واستمتع بحياته ما فيه الكفاية ٠٠ هل تضمنين أن تستمتعى بحياتك مثله ؟

ـ لكنه أبى ، كيف اتركه وهو فى حاجة الى ؟

ـ اسمعى ، دعك من هذا ، نحن جيل متعب ،منهك نريد أن نعوض حياتنا ما ضاع ، نريد أن نحيا أليس من حقنا أن نحيا ؟ انا ايضا سوف اتـرك امى لأحيا معك ، وحدنا فى بيت لنا ، يضمنا نحن الاثنين فقط ، هل تفهمين ؟

« انهم مسئولون عن الضياع الذى نعيشه ، لن نعيش طوال العمر أسرى لهم ، فكرى جيدا ،أليس

من حقنا أن نستمتع بحاضرنا ؟ هم مسئولون عن ماضينا التعس ·· ونحن لا نملك شيئا للمستقبل اذن من حقنا اللحظة الحاضرة هيا ننطلق بلا غباء»
يزداد ضغطه على يدى ، تنطفىء النشـــوة فى داخلى اضغط بأسنانى على شفتى الســـفلى ·· اتخلص من يده ، اتشرب عينيه بنظراتى ·· لا تجدى معه المناقشات رأيه لا يحيد عنه ·· يعجبنى اصراره وثقته بنفسه وتمرده ·· وتستهوينى آلامه ·· أسير بجواره فترة ، ثم اقرأ فى عينيه التحدى وزهوة الانتصار ·· اتراجع فى تردد متمهلة ·· ثم اسرع ، اقتـــرب من حجـــرتنا ، اتسمع صوت نباح الكلب عاليا ، يحاول أن يتمرد على السلاسل التى تقيده ·· يحاول أن يتمرد، ان يسرع الى ·· فى عينيه سؤال حائر ·· يدور حولى ·· يتبعنى داخل الحجرة ·· يأتينى صوت أبى واهيا ·· ضعيفا ·

ـ « انى جائع ·· » أحضر له الطعام يلتهمه بنهم يلتهم الكلب طعامه بشراهة ·· لا أجد شـــهية للأكل يأتينى أصحاب الدراجات لاصلاحهـــا أعدهم بأن يتسلموها اذا ما كان الغد ·· حيث تدور الدوائر لتصلح ما تلف ··

— ٣ —

— لو أنك ثمه امرأة عادية لتركتك منذ زمن ٠
— وماذا آكون غير ذلك ؟

تعرفين الاجابة بالتأكيد ٠٠ يستهويك أن تتسائلين تبهرني عيناك٠٠ التزم الصمت ٠٠ باهتة فاترة بدأت لقاءاتنا ، رويدا رويدا كنت أستجمع أشتاتي وبقاياك المتناثرة بداخلي ٠٠ كنت أحسك شيئا مني ٠٠ تفرقنا منذ زمن حزين طويل ٠٠ ثم عدنا نتجمع من جديد ٠٠ اعادة خلق ٠٠ كنت وكنت منذ بدايات التكوين٠عدنا للفتور والهروب ٠٠ تجبرني الحقائق أن نتباعد حتى لا نختلف ٠٠ أصبحنا نجلس بالساعات لا نجد كلمة نتبادلها وحينما تهمين بالرحيل ترجوك عيناي أن تبقى معي قليلا فتتساءلين :

— فيم يمكن أن نتحدث ؟ الغدر والزيف والقتال ! والأخبار المعادة عن الكرة وأزمة المساكن وصابرا وشاتيلا ؟

وتهرب مني الكلمات ٠٠ تقرأين أفكاري قبل أن أنطق بها ٠٠ تؤلمني لحظة الوداع ٠٠ أرجوك صامتا ألا تعيدين على أسماعي العبارة الكريهة المؤلمة :

— في يوم ما سوف نرحل بلا عودة ٠

ويمضى كل منا فى طريق ٠٠ يمتد طريقى بلا نهاية
الوذ بالأرقام أحسب كل الحسابات الممكنة وغير الممكنة
تستوقفنى المعادلات الصعبة ، والأسئلة المعجـــزة ٠٠
تنطلق الاصوات الساخرة ضاحكة تتجسد صبـــورة
والدك ، وشروط والدتك ٠٠ وآخوك المترهل الجســد
المترهل الفكر يطلب ويطلب ٠ ٠ويطلب ٠

• • •

ــ لم لا نبقى كما نحن الآن ؟ لم لا نترك التفكير فى المستقبل ؟

أعرف انك لن توافقنى . اعرف أنك سوف تسألنى :

ــ هل حقا أنت مقتنعه بهذا ؟

تخرج اجابتى واهنة عاجزة ٠٠ ارسم ابتسامة ــ محببة لديك ــ على شفتى ٠٠ اتصنع اللامبالاة :

ــ ماذا عسانا أن نفعل ؟

تحتوينى نظراتك ، اهرب منها حينا ، استســـلم
أحيانا ٠٠ فترت فى الآونة الأخيرة لقاءاتنا ٠٠ أحس
بأنك تتهرب منى ٠٠ نجلس بالساعات لا نجد كلمـــة
نتبادلها ، أو نجد لكن الخوف الرابض فى أعماقنـــا

يلزمنا الصمت ·· كلماتك فيها الثقة ، تمنحنى الامل أقرأ فى عينيك الاصرار والأمان فألوذ بهما ·· أحس للحظة بالسعادة ·· فأضحك واهون عليك :

ـ مهما كانت المشكلة لا تستسلم لها ، ولا تظهر غضبك أو حنقك ··

يتقدم لخطبتي غيرك ·· تلاحقنى أسئلة والدى ووالدتي وأخي الاكبر ·· هل نظل هكذا نلتقى فى يأس ؟ ألا تستطيع زيارتنا فى البيت لتجيب على أسئلتهم ؟ أعرف أن الموقف صعب ، وأعرف ان الرحيل مؤلم . لكن المواجهة شيء ضرورى ··

• • •

ـ لو أنك ثمة امرأة عادية لتركتك رغما عنى ··

وأعتدت فى لقاءاتنا الأخيرة آن اكبت مشاعرى واهرب من عينيك ·· لكن المواجهة الآن ضرورية ··

ـ لم لا نظل كما نحن الان ؟

أعرف أنك سوف تفجر الموقف الآن ، ينطلق سؤالك يمزقنى يتحدانى :

ـ هل تبقين بلا زواج طوال العمر ؟

ـ طبعا لا ...

ـ هل تحبين رجلا آخر ؟

ـ لا ....

ـ اذن لماذا ينتزعك منى غيرى ؟ أى رجل يتزوجك، سوف تكونين بالنسبة له ثمة امرأة عادية ، ثمة زوجة تأمر فتطيع ، أما معى فالأمر يختلف ..

ـ ماذا تقصد ؟

ـ منذ رأيت عينيك السوداوين ، محاطين بظل الجفون الأخضر ـ وكنت اتخبط فى زمنى الحزين ، رأيت فيهما عمق النيل الخالد ، بالطمى الأسمر، ورأيت ايزيس بزورقها تضرب مجدافيها ، تبحث عن اشلاء أوزيريس.. وعلى ضفة النيل الزرع الاخضر يتراقص، من يومها وأنا أبحر مع ايزيس فى نيل عينيك الخالدتين .. كنت أشلاء ، وكنت فى أنتظارك حتى تجمعى أشلائى لابعث من جديد ..

ـ لم لا تسافر للعمل بالخارج كما يفعل الكثيرون ؟

ـ وفكرت فى هذا أيضا ٠٠ليس من السهل أن أرحل عنك أو عن آرض النيل ٠٠ لقد اختلطت بهذا التراب حينما كنت ترابا قبل البعث الاول ، وتكونت مع نظراتك فى عينيك ، فأصبح ثلاثتنا شيئا واحدا ـ هل تفهمين ؟

ـ أنت تستطيع ان تعيش بدونى ٠٠ أنت انسان عظيم ٠٠

ـ يمزقنى الألم كل مساء حينما اتصور أن رجلا آخر سوف يأخذك منى ٠٠

ـ ليت بمقدور الكلمات أن تفعل شيئا ، لكنت أخرجت كل ما بداخلى من كلمات أعبر بها عن مشاعرى لكن ٠٠

• • •

بهدوء يعود ليسألنى :

ـ حددى اشكلة باختصار ؟

ـ الاسرة ٠٠

ـ ماذا تعنى بالاسرة ؟

ـ والدى ووالدتى ٠٠ من حقهم ان يطمئنوا على ٠

ـ وحياتك معى خطر ؟

ـ لا اقصد هذا،لكن اذهب اليهم واجب متطالبهم٠

ـ وأنت ؟

ـ لا استطيع ان اتمرد عليك ولا اتمرد عليهم ٠٠ هل تفهمنى ؟

ـ لا افهم غير شيء واحد ، هو أنى لن استغنى عنك ولن اتركك لاحد غيرى ، هذا حقى ٠٠ أحبك منذ زمن صحيح آننا التقينا منذ سنوات ثلاث فقط ، لكن حبنا ممتد منذ الازمنة الاولى ٠٠ أزمنة الخير ، الى بدايات التكوين حين كنت وكنت فى البدء ٠٠ لقد كنا مخلوقا واحدا ٠٠ كائنا واحدا ، أصابنا سهم كيوبيد فتفرق نصفانا ٠٠ وبحثنا طويلا حتى التقينا وكل يوم نحس بأننا نقترب أكثر وأكثر ٠٠

– يبدو أن الحب عندك ايمان ..

– الحب عندى لحظة ضعف ..

– تعتبر حبك لى لحظة ضعف ؟

– وحبك لى لحظة ضعف ايضا ..

– وهل ستتخلص منها يوما ما ؟

– ليتنى أستطيع .. لكن يبدو أن الأمر أكبر من ذلك ، فأنا – الآن – ليست لدى الرغبة فى هذا ..

– أنت اذن لا تحبنى .. كلامك أوهام تعبث بها وتعبث بى .. ولقد أخطأت حينما صدقتك .. كنت سعيدة بحبك .. خسارة أن نفقد أشياء أحببناها وأدمناها ..

– صدقينى الأمر ليس كذلك .. قلت لك أننا كائن واحد ، هذا قدرنا شئنا أو لم نشأ .. .

– ولنترك للأقدار مصيرنا ؟ أنا متشائمة دائما لأن الأقدار لا تمنحنى ما أريد ..

ـ صدقينى أنا أيضا كنت مثلك ، لكن بعد أن رأيت عينيك تبدلت الأشياء لدى ·· أصبحت ايزيس ايامى المعطاءه ، وتحولت انا لأوزيريس ، فقط نحن نحتـاج لبعث جديد ، بعث آخر ننصهر فيه نقترب فيه اكثـر احدنا من الآخر حتى نمتزج ·· نتداخل ·· يتلاشى كلانا فى الآخر ·· نتوحد ·· نتفرد ·· نصبح كائنا واحدا نخلق الحب ، نهب الحياة لحورس نمنح الخـير للآخرين علهم يصبحون مثلنا يوما ما ·

ـ هل تعرف ؟ تصهرنى كلماتك ·· أومن بها ·· تقهر حزنى وخوفى وترددى ·· تمنحنى الأمان الضائع منا منذ زمن ··

ـ لنبدأ اذن ؟

ـ كيف ؟

ـ نتخلص من آسر القيود التى تكبلنا ·· نتخلص من قيود الأسرة ··

ـ هل أعصيهم ؟

ـ حياتك أنت حره فيها ، أنت الوحيدة صاحبـة الحق فى اتخاذ الطريق الملائم ··

ـ وحقهم أيضا ..

ـ ليس من حقهم أن نظل خاضعين لهم طوال العمر أقول لك بصراحة هم مسئولون لدرجة كبيرة عـــن مشاكلنا وتعاستنا ..

ـ نحن جيل محيط منهك ..

ـ صدقت ، لكن جيل آبائنا له دور كبير . والدور الباقى مسئوليتنا نحن ..

ـ نحن تخرجنا من الجامعة ، لا نملك غير طموحاتنا واحلامنا وحبنا .. لنواجه كل تلك القيود ..

ـ نتمرد عليها ..

ـ الأمر يختلف بالنسبة لى .. أنا بنت ، المجتمـع يفرض على تقاليد لاستطيع تخطيها والا أعتبرت خائنة

مجرمة .. أما أنت فرجل .. تمرد كيف تشاء ..

ـ أنت دائما تقولين لا فرق بين الرجل والمرأة .

ـ هذا صحيح نظريا وللمناقشات الجدليـــة ـ

العقيمة ــ لكن الحقيقة شيء آخر ٠٠ لابد أن أعتــرف بهـــذا ٠

ــ لا تغضبى اذا قلت لك أن المشكلة ليست تقاليدا ولا اسرة ولا مجتمعا ، انها مشكلتك الخاصة ٠٠قيودك الداخلية ٠٠ ضعفك ٠٠ استسلامك ٠٠ هزيمتــك لاغراءات الحياة المعاصرة ، وترجعين الأسباب للآخرين أسرة وتقاليد ومجتمع ٠٠ أنت ــ وربما لا شعوريا ــ توافقين على كل أفكارهم وتبدين الخوف والطاعة لهم. فى حين أن هذه رغبتك الفعلية ٠٠

ــ يبدو أننا أصبحنا نختلف كثيرا ٠٠وأنك أصبحت لا تفهمنى على الاطلاق ٠٠

• • •

نعود للصمت ٠٠ الحيرة تكتنفنا وان كانت الامــور اكثر وضوحا ٠٠ واصبح لزاما على كل منا أن يتخــذ قرارا ٠٠ تنتشر فى الجو رائحه كريهه ٠٠ تهدأ امواج النيل ٠٠ نسير فى طريقين مختلفين ٠٠

ــ « لو أنى أستطيع يامليكتى لمنحتك كل العالم » ٠

ـ « لو أنى أستطيع ياحب عمرى لتركت كل العالم من أجلك »

• • •

فى طريق عودته أقترب من الشاطىء ·· نظر لمـاء النيل وللأمواج الهادئة ، امسك حجرا صغيرا ·· قذف به فى الماء بعنف ، أحدث صوتا ·· ونشر الماء فى كل الاتجاهات احدث دورة صغيرة قوية ، اتسعت دائـرة آخرى أكبر واقل قوة ·· وهكذا اتسعت الدوائر فى كل الاتجاهات واهنة ضعيفة ··

تمثل فى الماء زورق ايزيس وعينى ·· حبيبتـه السوداوين وسياج النيل الاخضر ـ وظل جفونهـا الأخضر ـ احس بعملية خلق بداخله ·· اقتربت منه اكثر ·· أصبحت ـ مثل البدأ جزءا منه ·· عاد فى طريقه يسير بسرعة فى تحد ··

فى طريقه استوقفته جثة كلب بجوار النيل تشـير رائحة كريهة ·· بصق عليه واكمل سيره (عازمـا ألا يعود لنفس الطريق ثانية) ·

• • •

في طريق عودتها ٠٠ كانت صورته تتباعد وكلماته لها تبهت ٠٠ تخفت ، وتقترب صورة الخطيب المنتظر على العشاء مع أسرتها ، قالت في حسم « الحب شيء والزواج شيء آخر » أكملت سيرها في طريق العودة متمهلة ٠

أمام المنزل استوقفتها العربة الفارهة ٠٠ شعرت بسعادة، تناست كل المناقشات السوفسطائية مع حبيبها وهرولت تصعد السلم ، لتكمل العشاء مع خطيبها ٠

• • •

تذييـــل :

« حورس ياابن الخير ، ياابن الحب ، ياابننا المنتظر الرابض في رحم الغيب ٠٠ متى تولد ؟ متى تشرق شمسك لتنقذ جيلنا المنهك ؟ »

١٩٨٢/١٢/١٦

الاحتفـــال

الميكروفونات أمام المنصة الرئيسية ،الأنوار مضاءة منذ الظهيرة ٠٠ كل مجموعة مسئولة عن تنظيم جانب محدد ٠٠ الزينات والمشروبات وتنظيم المدرجات ٠٠ وتوزيع الدعوات ٠٠ كل شيء يسير حسب الخطة ٠٠

عقد ما بين حاجبيه وقال بصوته الهادىء ٠٠ « لا تفرحوا كثيرا » ٠

شعر الطلبة بشيء من الغيظ واتهموه بالغيرة ٠٠ فعودة الأستاذ الجديد قد شغلت اهتمام الجميع ، ضحك ومرت على ذاكرته نفس الخاطرة ٠٠ كان يشعـــر أن الكلية جزء منه ٠٠ يدرس فيها منذ انشائها ٠٠ حتى الأستاذ العائد من الخارج كان تلميذه في يوم ما ، لولا هدوؤه وصراحته لكان له شأن آخر ٠٠٠

ـ كل شيء سوف يتغير ٠٠ بعودة الأستاذ ٠٠ لابد أنه سوف يساعدنا ويحل مشاكلنا ٠

ـ سوف يشجع الرحلات ويذهب معنا ، قال آخر ـ نحن فى حاجة لمن يفهمنا لمن ، يتناقش معنا فى أمور السياسة بصراحة وبلا خوف ٠٠ وضع النظارة عـــلى عينيه وقال طالب آخر ٠٠

ـ لعله يستطيع ان يخفف من شـــلالات المذكرات التى تنهال علينا ٠٠ ردت احدى الزميلات ٠٠

ـ هل حقا يمكن ان يقف فى مواجهـــة رئيس القسم ويساعدنا ؟ ورد زميل قديم :

ـ قبل سفره كان يتحدث عن أحلامه الاصلاحيـــة كانت له مواقف جادة وحازمة عندما كان معيدا قبـــل سفره للخارج ٠٠ لابد أنه عاد اكثر تحمسا ٠٠ تحسست الطالبة الحسناء شعرها وابتسمت بدلال قائلة :

ـ سمعت انه لم يتزوج بعد ، ردت أخرى بعصبية وماذا يهمنا فى ذلك ؟ ٠٠ ازدادت ابتسامة الطالبـــة الحسناء ٠٠

ـ هذا هو أكثر ما يهمنا ، أعنى اننا سوف نحضر محاضراته بانتظام ٠

ساعدهم الاستاذ القديم فى اعداد حفـــل الاستقبال للأستاذ العائد من الخارج ، قرأ نظرات التفـــاؤل فى أعينهم تمتم فى هدوء « لا تتفاءلوا كثيرا » تركـــوه وأكملوا اعداداتهم .

. . . .

« اعتقد ، فى رأيى ، اظن ، فى الواقع » كان فى منزله يعد كلمة الافتتاح ..

« لابد ان استخدم هذه العبارات حتى أبدو عظيما» أعد ملابسه باهتمام شديد « ولابد أن استخدم بعض الألفاظ الانجليزية حتى يفهموا أن حديثى بالعربيـــة صعب » دق جرس التليفون رفع السماعة، جاءه الصوت هادئا وحازما ..

– لكنى ارتبطت معهم بميعاد الحفل ..

– .....

– حاضر ، لا ، لا .. ليس لى أعتراض .. أنتم دائما على صواب .. ، حقا .. انهم أغبياء .. وضع السماعة مزق الكلمة التى أعدها .. أعاد ملابسه للدولاب .. ضحك قائلا « لماذا ادخل معهم فى خلافات .. ما داموا

سوف يريحونني، فليذهب الطلبة وقضاياهم الى الجحيم»
استلقى على السرير ·· يحلم بالوعود ·· ويستعيد
الكلمات التى سمعها فى الهاتف ·

....

فى الموعد المحدد ·· جلس الجميع ·· فى انتظار
الأستاذ العائد دار الهمس ·· حملقت الأعين الحالمة ··
دارت بينهم كلمات الأمانى والفرح ·· كل شيء اكتمل
باستثناء المنصة الرئيسية ذات الكرسى الخالى ··

دخل أحدهم واعتذر للحاضرين ··

....

اجتمعوا حول أستاذهم العجوز ·· انطفأ البريق فى
أعينهم ربت عليهم قال لهم مشفقا « لا تحزنوا ··
لا تتشاءموا كثيرا » ·

فى ١٩٨٣/١/٧

صرخة ضمير

(أنت طالق ٠٠ طالق ٠٠ طالق) سمعت هذا وأنا اشبه بانسان كان يسير كالنائم لا يدرى بما يفعله واذا به يفاجأ بمن يوقظه من نومه ٠٠ فى فزع وذعر ٠٠ أو كمن حلم حلما عابثا جميلا ٠٠ ثم يصطدم بصخرة الواقع الأليم٠٠سمعت هذه الكلمات وخرجت لا أعرف الى أين ؟ كل ما كنت أدريه أنى نادمة على كل ما فعلته وسرت وقلبى يضطرب بين الثورة والهدوء ٠٠ ونفسى تضطرب بين الجزع والخوف ٠٠ وعقلى يضطرب بين الاستقرار والجنون ٠٠ وفى الحقيقة انى لم اكن اعلم اكنت يقظة ام نائمة !

وتذكرت ٠٠ يوم ان جاء لخطبتى ٠٠ كم كنت سعيدة ٠٠ واحسست بأنى كالطير ٠٠ كالنسيم ٠٠ كروح شفاف ٠٠ تنطلق بلا حدود٠٠وتعبث بلا رقيب ورغم أن غالبية الاسرة كانت ترفضه بحجة أنه (من وسط غير وسطنا ٠٠ وأنه أقل منا) لكنى عارضت الجميع وتمسكت به ، وما كان لهم ان يعارضونى أو يقفوا فى طريق اختاره بنفسى ٠٠ هكذا تعودت منذ

صغرى ·· كانت طلباتى أوامر ·· والجميع لا يبغون الا سعادتى ·· ولم لا وأنا وحيـدتهم المدللـة ؟ ! · وبالطبع وافق الجميع على الزواج والحق أنى كنت أحبه من أعماقى ·· وكنت أعرف انه يحبنى أيضا ·· وبت أحلم بالسعادة الدائمة ·· وبعد انتهاء شهر العسل· بدأت اشعر بوحشة وغـربة ·· أحسست بشىء كأنى منعزلة ·· لم أعتد هذه الحياة ·· أظل انتظره ـ حتى يعود من عمله وحتى الزيارات ·· والرحلات التى كنا نقوم بها سويا · لم تكن كافية لترضى كل ما بداخلى من حب للانطلاق الدائم ·· وأحسست بشىء يشدنى بعمق وقوة لحياتى الأولى للرفاق ·· للهـو معهم ·· هكذا تعوت ·· لم أكن اتصور أن تظل حياتى كلها مع زوجى ورغم حبى له ·· لا يمكننى مشارقة (الشلة) وعلى الفور بدأت أعود لهم مرة أخرى ·· وكان هذا يأخذ الكثير من وقتى ·· وعلى حساب راحـة زوجى وسعادته ·· لكنى كنت واثقة من حبه لى وأنه مهمـا حدث منى ·· فلن يستغنى عنى لحظة واحدة ·· بيد أن الخلافات بدأت مع طرف آخر ·· انها والدتى ·· كثيرا ما كانت تحذرنى ·· وتخيفنى ·· تنصحنى ·· (يابنيتى ·· لتهتمى بزوجك ·· وحياتك الزوجيـة

أكثر من ذلك ٠٠ لتنسى حياتك الأولى ٠٠ الآن اصبحت مسئولة عن أسرة) ٠٠ أغضب من نصيحتها ٠٠ أقول لها (انه لم يغضب ٠٠ لم نفترض المشاكل اذن ؟) ٠٠ وترد على (كل شيء له حـدود يابنيتى ٠٠ لـكل شيء نهاية ٠٠ ربما ينفذ صبره يوما ٠٠ خطلتها سـيكون الندم عبثا) ٠٠ وأصر على أنه يحبنى واكرر (انـه يحبنى ٠ الحب يغفر كل الخطايا ٠٠ ويحل كل المشاكل حبه لى يجعله يتسامى عن اخطـائى ٠٠ اليس الحب فوق كل شيء ؟) ٠٠ ثم شيء آخر كنت احتفظ به لنفسى لقد اخترته رغم معارضـة الأسرة وهو يعلم ذلك ٠٠ وهذا يكفى لأن يدعنى ان احيا كما اشاء !

الأيام تكشف لى دائما عن جديد ٠٠ تعرفنى ماكنت اجهله ٠٠ زوجى بدأ يضيق بتصرفاتى كلما عاد البيت ولم يجدن ٠٠ يصرخ فى ٠٠ كلما رآنى مع المجموعة نهرنى ٠٠ غير انه سرعان ما يعود ليعتذر لى ٠ ويؤكد حبه ثم يدعنى وشأنى ٠٠ وأعود لما تعودت عليه ٠

أحيانا كنت أحس بالذنب ٠٠ هل أنا مخطئـة فى حقه ؟ ٠٠ وأحس بالضيق لهذه التصرفات لكن صوتا عنيفا ينطلق من داخلى ٠٠ كان غريبا أول الأمر ٠٠

لم اكن اعرفه ٠٠ الا انه كان يردد على اسماعى (أنت جميلة ٠٠ أنت فراشة تنطلق ٠٠ ليس لاحد أن يقيدك انطلقى ٠٠ انطلقى) ٠

سرعان ما جاءت للتعاون معه على هى الاخرى ٠٠ لم يتحدثا سويا ٠٠ ولم يتفقا من ورائى ٠٠ الا انهما متفاهمان ٠٠ لا يعرفان غير لغة الابتسام ٠٠ وبهذه اللغة استطاعا ان يقيدانى ٠٠ نعم هو وهى زوجى وابنتى !

فى عيد ميلادها الاول ٠ كانت سعادتنا كبيرة ٠٠ أقمنا حفلا ودعونا فيه الأهل والاصدقاء طلبت منه أن يهتم اهتماما خاصا بأعضاء (الشلة) ٠٠ ورأيته يقدم الحلوى لواحدة منهن ٠٠ صديقتى ٠٠ لست أدرى لماذا ثرت ٠٠ صرخت فيه ٠ وانهلت عليه بالاتهامات والسباب ٠٠ وتغير الحفل لشىء آخر وكان يستطيع أن يعنفنى ٠٠ لان خطأ لم يرتكبه ٠٠ لكنه ٠٠ حتى تمر الليلة بسلام اعتذر لى ٠٠ أمام الجميع وما زال بى حتى ابتسمت ٠٠ واستمر الحفل غير ان شيئا كأن قد حدث ولم يتغير ٠٠ نظرات المدعوين لى ٠٠ كانوا يرموننى بنظرات لها معنى خاص كنت اخاف من تلك النظرات الشزراء لكنها لم تتحول عنى اقتربت والدتى وقالت

(انك تصنعين نهايتك بنفسك ٠٠ انت لا تدريـــن ما تفعلينه ٠٠ افيقى يابنيتى) ٠

فى الصباح لم يتحدث معى ٠٠ عاد من عمله متأخرا سألته عن سبب تأخره لم يجبنى ٠٠ حتى اليوم التالى ٠ ! اشتد حنقى ٠٠ عرضت على (الشلة) أن ارافقهم فى رحلة سيقومون بها وافقت دون تردد عندما عاد من عمله طلبت منه أن اذهب للرحلـة رفض ٠٠ صـممت أن اذهب ٠٠ قال لى (افعلى ما بدا لك ٠٠ أنت حرة) قالها بغضب وحنق ٠٠ خرج واغلق دونى الباب دون وداع ولم يكن يفعل من قبل ٠٠ اعتبرتها اهانة لى ٠٠ ازداد اصرارى ان اتـــرك البيت ٠٠ طلبت والـــــدتى بالتليفون حاولت ان تمنعنى عن الرحلة ٠٠ لم تستطع تركت لها ابنتى ٠٠ حملت حقيبتى وخرجت ٠٠

فى الطريق كان نفس الصـــوت يتردد فى آذانى (انت زهرة جميلة ٠٠ عبيرها فى كل مكان لا تدعى الفرصة لزوجك وابنتك أن يقتطفا هذه الزهرة ٠٠ أنت خلقت لتعيشى حياتك أنت ٠٠ قبل أن تفكرى فى حياة غيرك ٠٠ أنت فراشـــة تنطلـق بلا حدود ٠٠ استمتعى بحياتك ٠٠ انطلقى ٠٠ انطلقى) ٠٠ ثـم أصوات ضحكات عاليـة تتردد ، ودون ارادة منى ٠٠

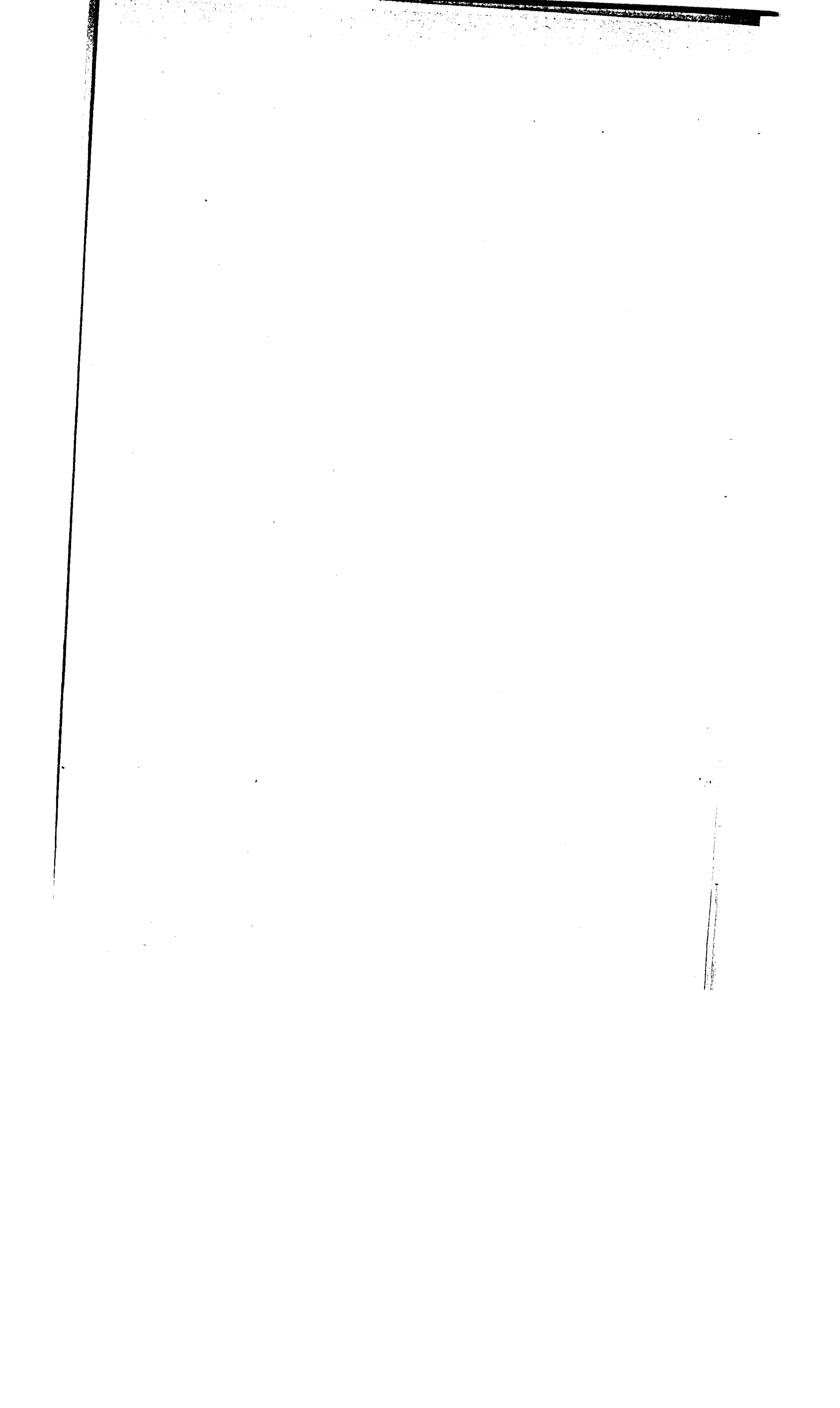
اتقاد لها ٠٠ لهذا الصـــوت الغريب ٠٠ مع الرفـــاق أسافر ٠٠ وهناك انسى كل شيء ٠٠ اضحك ٠٠ الهو العب ٠٠

كأنى عدت عشر سنين من عمرى للوراء ٠٠ كأنى طفلة صغيرة ٠٠ تستقبل الحياة للمرة الأولى ٠٠

بعد اسبوع وصلت برقية للفندق الذى كنابه ٠٠ استلمها أحد أصدقائنا ٠٠ سمعتهم يتهامسون قالوا ابنتى ماتت ٠٠ لم اصدق ٠٠ صرخت ٠٠ بـــكيت ٠ حطمت كل ما حـــولى ٠٠ الا انهم لم يتـــركون حيث انفجروا ضاحكين ٠٠ قالوا انها احدى (المقالب) التى اعتادها ٠٠ هذا الصديق وأكدوا لى ذلك ففرحت ٠٠ وأكملنا اليوم ٠٠ فى المساء ٠٠ لم اســهر معهم ٠٠ ظللت فى حجرتى احسست باشتياق شديد لهما زوجى وابنتى ٠٠ احسست بأنى احبهما كما لم احبهما مـــن قبل ندمت على اخطائى ٠٠ عزمت ألا اعود لمثـــل هذا ثانيـــة ٠٠ فى الصباح حملت حقيبتى واســـتأذنت (الشلة) فى العودة ورغم رفضهم ألا آننى صممت ٠٠ فى الطريق ٠٠ كانت المسافة تطـــول ٠٠ والوقت لا يمضى ٠٠ صورتهما أراها فى كل شيء ٠٠ عـــدت انسانة جديدة ٠٠ أخيرا وصلت البيت ٠٠ كانت أمى

فى النافذة ٠٠ هرولت صاعدة السلم ٠٠ رأيتها على السلم رأتنى حضنتها ٠٠ بكت وابتعدت عنى ٠٠ فوجئت ٠٠ عيناى كانت تسألها قالت : (سأعود بيتى آديت مهمتى ٠٠ ابنتك مرضت منذ سنرك ٠٠ ثم ماتت ٠٠ لقد أديت مهمتى) نزلت تجرى ٠٠ أسرعت الى الشقة فتحت الباب وجدته واقفا كان ينتظرنى للمرة الاولى تحدث ٠٠ للمرة الاولى صرخ بصوت عال (أنت طالق ٠٠ طالق ٠٠ طالق ٠) نزلت السلم دموعى تسابقنى أسمع ضحكات ساخرة حولى انها الأصوات الأولى ٠٠ الآن أدركت أنها ليست غريبة عنى ٠٠ انها شىء منى ٠٠ انى نادمة ٠٠ لكن ماذا افعل ؟ ٠٠

فى ١٩٧٨/١٢/٥



الغثيـــان

شعر بدوار ·· بدأ الصـــداع يزداد كأن أثقالا على رأسه حاول أن يكمل نومه حتى يتناسى ألمه ·· لم يستطع فتح عينيه ·· نسمات باردة كانت تقتحم عليه حجرته من النافذة المفتوحة أضواء الفجـر كانت تلح عليه توقظه استسلم لها ·· فتح عينيه ·· نظر لأعـلى سقف الحجرة كان فوقه ·· اطال النظر فيه لكن شيئا لم ير ·· احس بثقل الوقت ·· لابد أن يشعل سيجارة منذ أيام اعتاد أن يستيقظ فى أوقات مختلفة من الليل ويفكر فى اللاشىء ·· لكن الخوف الكامن فى اعماقه كان يقلقه ·· لم يتمن غير أن يتخلص يهرب من الخوف السيجارة شىء ضرورى ·· حرك يده ليبحث عن علبة السجائر ·· يده لم تتحرك دقات قلبه أخذت تعلـــو وتزداد ·· هل خوفه من ذلك الشىء اللعين قد تحقق ؟ حاول أن يحرك ذراعه الآخر ·· لم يســتطع ·· اذن فليقف ·· ساقاه ·· وقدماه ·· قررا أن يعانداه · جحظت عينـــاه ·· تثبتت مكانهـــا فى اللاشىء ·· الفزع سيطر على كل تفكيره ·· هل تحقق ذلك الشىء اللعين ·· تمنى لو نام طويلا ·· دون أن يستيقظ ·

تمنى أن يفقد الاحساس تمنى أن ينتهى كل شىء فى
هذه اللحظة حتى يدرك أن الشىء اللعين قد تحقق ٠٠
لكن الصمت لم يدم ٠٠ قرر أن يكشف الحقيقة ليواجهها
فهو يعرف أن ذلك سيحدث يوما ما ٠٠ حتى ينتهى خوفه
لكن صورة كانت قد ارتسمت امامه على الحائط ٠٠
اللاشىء اصبح صورة ٠٠ فى الصورة يرى الشىء اللعين
صرصارا احمر كبيرا فى حجم انسان جسمه مغطى
بزوائد تتحرك كثيرا باستمرار فى كل ناحية ٠٠ لكن
دون أن يتحرك الصرصار كان يخاف أن يحدث له ذلك
الشىء ولم لا ؟ ألم يحدث لكافكا من قبل ٠٠ منذ عرف
هذا ٠٠ وقد استقر فى داخله أنه سيأتى يوم يصبح
فيه صرصارا بل ربما كان يفكر أن كل انسان لابد
أن يصبح صرصارا فى يوم ما ٠٠ ان لم يكن قد حدث
لكثير منهم ٠٠ كان صعبا على نفسه أن يكتشف الحقيقة
لكن أدار وجهه بعيدا عن الصرصار ٠٠ قرر أن ينظر
الى نفسه ٠٠ نظر ٠٠ كانت المفاجأة ٠٠ جسده كما هو
ما الذى حدث اذن الم يصر صرصارا دقق النظر جيدا
عله يرى تلك الزوائد الكثيرة التى تتحرك فى كل
اتجاه ٠٠ لكنه لم يجد زوائد فى جسده ٠٠ أحس
براحة كثيرة ٠٠ لكنه لم يصدق ٠٠ انه يحس بجسده

يتحرك أو اشياء تتحرك فوقه ·· أعاد النظر ثانية· وجد صراصيرا كثيرة جدا ·· تلتف حوله ·· تصعد فوقه ·· تسير فى كل اتجاه ·· فوق يديه ·· ساقيه بطنه قدميه كل جسده ·· تصعد لأعلى ، لصدره ولم يجد غير الصراخ ·· صرخ بأعلى صوته ·· لم يسمعه أحد صرخ ثانية لكن احدا لم يرد ·· أحس بشيء من الراحة ·· لم يسمعه احد اذن هو فى حلم سخيف مخيف ·· يريد أن يستيقظ منه ·· ماذا عساه أن يفعل؟ ·· كيف يوقظ نفسه من هذا الكابوس المخيف بجواره رأى التليفون ·· هو الذى سيؤكد له ما اذا كان فى يقظة أم فى حلم ·· لكن كيف يستخدمه لا يستطيع أن يتحكم فى حركة يديه ·· ليس له غير رأسه ·· وشد سلك التليفون بفمه ·· جعل يجذبه حتى اقتربت منه السماعة وبفمه وأنفه جعل يدير قرص التليفون ·· كانت السماعة فوق الوسادة ·· وضع رأسه فوقها ·· اتصل بها كانت هى الوحيدة التى تخفف عنه آلامه وتعيد اليه الطمأنينه ·· من بعيد جاءه صوتها ·· كان رقيقا ناعما ·· كنسمات الفجر سألته لماذا يتصل بها مبكرا ·· قال لها « أريدك أن تنقذينى » ·· ردت عليه « ماذا عساى أن افعل ؟ »

قال : «مثلما تفعلين كل مرة اطلب فيها مساعدتك»
قالت : « لا استطيع ان افعل شيئا من اجلك » سـألها
لماذا؟صرخت فيه « لقد تغيرت ·· تركتنى وذهبتاليهم
نحن لا نجتمع » ·· سألها « من تقصدين ؟ ·· « أنت
تعرف من اقصد ·· هل انهيت بالأمس قصيـــدتك
الأخيرة » ·· قال : « بالأمس ·· حرقت كل شيء ··
كل ـ أوراقى المكتوبة ·· وأشعارى المنظـومة » ··
خافت ذعرت / ذهلت ·· سـألت / « وماذا فعلت
بمكتبتك أرجو ألا تقربها » ·· ضحك بسخـرية ··
دون مبالاة أجاب : «المكتبة غرقت فى الطوفان الأحمر»
صرخت فيه ·· قالت «لا تحاول أن تحدثنى أو تقابلنى
[illegible] تتركهم انى اكرههم » · لا فائدة أحد ·
لن يساعده عاد ببصره فى سقف الحجرة ·· عاد ينظر
فى اللاشيء اراد ان يهرب من نفسه يتذكر أى شيء غير
شكله الذى يخيفه ·· اراد أن يعرف سببا لاكتئابه··
تذكر، من شهر دعاه احد صحبه ليحضر ندوة أدبيـة
فى البدء رفض ·· قال : « الأدب ضاع ·· غرق فى
الطوفان الاحمر وهو لا يكره الا اللون الاحمر » ··
اقنعه الصديق بأن هناك أديب جديد ·· يكتب شعرا
وقصصا من طراز عتيق ·· ذهب وسمع الأديب الجديد
الذى قال أشياء كثيرة جعلته يشعر بالضيق قال الأديب

الجديد أنه يريد أن ينتحر ليكون شاعـرا عظيما ..
وتحدث الأديب الجديد عن ثقافته قال أشـياء كثيرة
يذكر منها .. ماركس .. لينين .. سارتر . قـال
الأديب الجديد أنه قابل نبيا من كوبا على القهوة وآمن
به .. وكلما حاولت صديقته الساقطة أن تقنعـه
بوجود الله أدار الأديب الجديد وجهه للحائط .. نعم
قال اشياء كثيرة مثل هذا .. يومها شعر بـاكتئـاب
شديد .. احس بصفعات متتالية تنهال عليه .. خرج
« من الندوة » وسأله الصـديق عن رأيـه فى الأديب
الجديد نظر اليه كثيرا .. لم يستطع ان يبتسـم ..
تركهم وعاد لمسكنه .. من يومها .. والخوف رابض
فى اعماقه ..

هناك قابلهم .. هناك عرفهم .. هنـاك أصبح
واحدا منهم .. ومن يومها والخـوف رفيقـه من
يومها ودعته الصديقة قالت له « لغتنـا اختلفت ..
أصبحنا لا نتفاهم » .. واليوم قالت له « لن استطيع
مساعدتك حتى تتركهم انى اكرههم » .. راحت كل
الصور التى ارتسمت أمامه .. أصبح ينظر فى اللاشىء
زاد الدوار واشـتد الصداع .. وأحس بغثيان ..
يريد أن يفرغ كل ما فى جوفه ..

لا شىء يفكر فيه الا الغثيان .. لا شىء يريده غير

أن يفرغ ما فى جوفه ٠٠ الصراصير صعدت على صدره اقتربت من وجهه ٠٠ صرخ أكثر وأكثر ٠٠ أحد لم يسمعه ٠٠ اغمض عينيه قرر ألا يفكر فى شىء ٠٠ ترك الصراصير تزحف ٠٠ استسلم لها ٠٠ لكن عندما اشتد به الغثيان وأدرك أنه عندما يفرغ كل ما فى جوفه سوف يستريح اطمأن بعض الشىء ٠٠ جعل يفكر فى طريقة يتخلص بها من هذه الصراصير ٠٠ عندما ازداد الغثيان الحاحا عليه كان قد أغمض عينيه ٠٠ لكن ابتسامه كانت على شفتيه لأنه بدأ يفكر كيف يفرغ ما فى جوفه ويتخلص من الصراصير ليستريح من الغثيان ٠

....

خارج حجرته كان والده جالسا على المصلى يكمل جزء القرآن الذى اعتاد ان يقرأه كل يوم عقب صلاة الفجر عندما انتهى من ترتيل القرآن وقف اقترب من حجرة ابنه فتح الباب ونظر اليه ورأى الابتسامة على وجهه ٠٠ رفع وجهه لاعلى تمتم بكلمات سريعة أعاد النظر لابنه قال : « الطريق سهل ٠٠ اننا نعرف كيف نخلصه من هذه الأشياء فى الوقت المناسب » أغلق الباب عاد للمصلى ٠٠ رفع يديه مكبرا للصلاة (الله اكبر) ٠

فى ١٩٨١/٩/٩

البحث عن شيء ما

وقفنا ٠٠ نظرنا حولنا ٠٠ رأينا كل شيء ٠٠ لم يكن هناك شيء نستطيع ان نحدده ليس امامنا الا أن ننظـــر فى الأرض ٠٠ لم نر الا التـــراب ٠٠ كل شيء أمامنا تراب ٠٠ نحتقر التراب ٠٠ نكره التراب ٠٠ نهرب من التراب ٠٠ نترك الأرض ٠٠ ترتفع أبصارنا الى السماء حيث السحابات الرائعات الغيوم الكثيفة ٠ لم نستطع أن نحدد شيئا ما ٠٠ طال صمتنا تـــلاقت نظراتنا ٠٠ لم نستطع أن نقول ٠٠ شـــيئا ٠٠ لم ندر ماذا نقول ٠٠ استجمعت ـ شجاعتى ٠٠ وشـــيئا فشيئا قررت أن اتحدث ٠٠ أن أقول كل شيء ٠٠ ان اقطع هذا الصمت الطويل ٠٠ حدثتها ٠٠ فلم ترد ٠٠ كررته ثانية فلم تجب ٠٠ تحدثت ثلاثا واربعا ولكنها كانت تلتزم الصمت ٠٠ وتعجبت لم لا ترد ؟ ٠ حاولت أن اصرخ فيها حتى ترد لكن كأن شيئا لم يحدث ٠٠ وازدادت حيرتى عندما اكتشفت آخيرا اننى لم اجرؤ على الحديث وأن كل ما فعلته كان محض فكر وخيال مجرد ٠٠ اكتشفت هزيمتى عادت نظراتى الى الأرض كان كل ما بنـــاظرى تراب ٠٠ ولم اجرؤ ان احاول التجربة مرة اخرى ٠

اقتربت خطواتنا ٠٠ لم يعد يفصل بيننا غير خطوة
أو بعض خطوة مسافة قصيرة جدا ٠٠ ولكنها تبعـد
مابيننا ٠٠ كأن بيننا جبالا ٠٠ وأبحرا لا نهاية لها
الريح ازدادت قوتها ٠٠ حتى اصبح يسمع لها صفير
تحرك كل شيء حولنا امتلأ الجو بالتراب ٠٠ أما هي
فعيناها حائرتان تنظر في السماء ٠٠ تبحث عن شيء
ما خصلات شعرها تمردت هذه اللحظة لم تعد تسابق
الريح ٠٠ لم تتحرك كما اعتادت ٠٠ كيفما يذهب بها
الهواء ٠٠ انسال شعرها على كتفيها كأنه حزين ٠٠
أو بائس من دورات هذا الهواء ٠٠ كم كنا ندورسويا
في ارجاء هذه الكلية ٠٠ لكم قطعنا هـــذه الساحـة
الفسيحة ذهابا وايابا بلا ملل ٠٠ بلا تعب ٠٠ بلا هدف
غير ان نسير سويا وان نتحدث كان الامل الوحيد هو
ما نبنيه بخيالاتنا ٠٠ وكأننا صغار نبني بالحلم كـل
الأماني ٠٠ وكنا نصدق حلمنا ٠٠ ضحكنا ٠٠ سعدنا
كم عبث الهواء بشعرها ٠٠ ارتسمت البسمـات عـلى
شفتيها ٠٠ الآن كل شيء ينسرد ٠٠ كل شيء يائس ٠٠
لا جدوى ٠٠ نظرنا حولنا ٠٠ اكتشفنا أننا لسنــــا
وحدنا ٠٠ الكلية مليئة ٠٠ ونحن لا نحس الا بوجودنا
على اليمين كان بعض الصديق يضحكون ٠٠ يشيرون

علينا يتهامسون ·· ثم ينطلقون بضحكات عالية ··
اعتدنا هذا ·· هربنا بنظراتنا · كآن كل ما حولنا
ومن حولنا فى بحث دائم ·· الجميع فى انتظار ··على
بعد خطوات منا كانت تقف حائرة ·· تركت للريح
كل شىء شعرها ·· فستانها تعبث بهما كما تشاء ··
لم تلق بالا لمن حولها الذين يلتهمونها بنظراتهم ··كل
ما كانت تفعله ·· ان تنظر فى ساعتهـــا ثم تبحث
بعينيها هنا وهناك ·· بعد لحظات رأينـــاه يقترب ··
ابتسمت ، ازدادت بسمتها رفع يده مشيرا لها ·· جرت
نحوه ثم سارا سويا ·· ابتعدا عنا ·· ليقطعا نفس
الطريق الذى كنا نقطعه ·· لم استطع أن اهـــــرب
كثيرا ·· ناظراها تركا السماء ··انحصر اعلى نظراتى
طالت نظراتنا ·· كل منا يبحث عن شىء يريده ··
عن شىء ما ·

حاولت ان تنهى هذا الصمت الذى لم نعتده ··
كانت واجمة ·· حاولت ان ترسم البسمة فلم تستطع
بلا مقدمات ·· استجمعت شجاعتها ·· وسألتنى ··
« وماذا بعد ؟ » على التو دون تفكير أجبت ·· « ليس
هناك بعد ·· لقد انتهى كل شىء ! ·· »

لست أدرى كيف نطقت شفتاى هذه العبـــارة ··

كنت أعرف أننى انتحر بهذه الكلمات كنت اعانى ألما وحزنا ٠٠ كنت ادرك بلا شك اننى اصنع نهـــايتى المأساوية ٠٠ كل شىء حولى يصرخ بى (لماذا اقدمت على على هذا القرار ٠٠ كيف تصنع بنفسك نهاية سعادتك كيف تصنع أحزانك ؟ ٠٠)

نظرت اليها وجدتها تفعل شيئا تمنيت أن افعلـه حتى استريح ٠٠ كانت تبكى ٠٠ حـاولت أن تخفى دمعاتها ٠٠ لم تستطع ٠٠ أحسست بسخونة دمعاتهـا كأنها تلهب وجهى تنسال من مقلتى ٠٠ كنت أعرف هذه الدمعات جيدا فهى ليست شيئا غريبـا عنى لقد اعتدتها ورافقتها منذ زمن ٠٠ اثارت دمعاتها فى نفسى أحاسيس كثيرة ٠٠ وذكريات كثيرة ٠٠ ذكرتنى عندما بكيت للمرة الأولى فى حياتى ٠٠ كنت صبيا صـــغيرا دون العاشرة من عمرى ٠٠ يوم نظر لى الطبيب طويلا ثم قال لأخى بنغمة لا زلت اذكرها (ربنـا كبير) ٠٠ يومها بكيت واعتدت من يومها أن ابكى وان اخفى دموعى أن احبسها ٠٠ وذكرتنى يـوم ان غـالبتنى دموعى فجأة امامها وفشلت فى ان اخفيها ٠٠ يــوم تعارفنا واقتربنا ٠٠ كنا فى محاضرة (دراما) يومها كان الأستاذ يناقش مشكلة هاملت (أكون أولا أكون) عن حيرة هاملت وتفكيره فى الانتحار ٠٠ كان هاملت

يبحث عن شيء ما ٠٠ يريد أن يحقق شيئا ما عنـدما فشل فكر في الانتحار ٠٠ لكن شيئا منعه ٠٠ خوفه من الله ربما لحظتها دار بخلدى سؤال (لماذا لا يكون مـن حقنا أن ننتحر ؟ ٠٠ أليست حياتنا وأرواحنا ملك لنا نتهيها وقتما نشاء ؟) ٠٠ واقتنعت بالفكرة وفـكرت جديا في الانتحار ٠٠ لكن صوتا انطلق بداخـــلى يحذرنى (ألا تخف من الله ؟ ٠٠ ألا تخف من الله ؟ ٠) واخرسنى هذا الصوت واعادنى الى رشدى أو اعـاد رشدى الى ٠٠ غير ان مدامعى خـذلتنى وبكيت ٠٠ وكانت هى بجوارى ٠٠ أمسكت ورقـة وقلما وجعلت أسطر للصمت آحزانى وأبحث في نفسى عن شيء ما ينقصنى ولم أدر أنهـا كانت تراقبنى عنـدما انتهت المحاضرة ٠٠ طلبت ان تحدثنى ٠٠ ولم أمانع ٠٠ قالت وصوتها منغم بضحكة عالية ٠٠ (أنت ممثل رائع) وسألت مستنكرا (لماذا ؟ ٠٠ وكيف ؟) قالت : (امكنت تبكى ؟) احارنى السؤال ٠٠ ماذا اقول لها ٠٠ لم اعتد أن اقص على أحد احزانى ٠٠ ولم أعتد الـكذب ٠٠ لذا التزمت الصمت ٠٠ ولما الحت قلت لها (هناك أشياء كثيرة تجعل الانســان يبـكى ٠٠ ردت باقتنــاع ارضـــانى أول الامــر (هـــذا صحيح ٠٠ ولـكن ليس فى حالتــك أنت) وقبـــل أن

أسألها قالت (لأنك تتمتع بأشياء كثيرة لا يتمتع بهـــا غيرك ٠٠ متفوق ٠٠ لك أسرة سعيدة ٠٠ تملك حب جميع من حولك وهذا شيء يفقده الكثيرون ٠٠ بالاضافة الى انك فنان ٠٠ ربما تصل الى القمة يوما ما ٠٠ الحق انى احسدك ٠٠ حاولت كثيرا أن اقترب منك ٠٠ ولكن كنت اغار منك كثيرا عندما اعقد مقارنة بينى وبينك ٠ تنتهى لصالحــك) فـــكرت كثـــيرا فيــــا قالت كانت المرة الأولى التى ادرك فيها أنى امتاز بشىء ما عن الآخرين قلت (بقدر ما امتلك فان هناك اشـــياء افقدها) نظرت الى وكأنها فهمت ما اقصـــده قالت : بهدوء (لابد أنك تقصد مرضك ٠٠ لكنـــك مخطىء فهذا شىء لا يجب أن تفكر فيه بل تحمد الله عليه) قلت لها مؤكدا (لا اقصد هذا بالمرة ٠٠ لان المرض أصبح شيئا منى ٠٠ احمد الله عليه ٠٠ لكنى اقصـــد أنى احس بشىء ما ينقصنى ٠٠ شىء ابحث عنه ولا اجده ربما يكون قريبا ٠٠ وربما يكون بعيدا جدا عنى ٠٠ الحـــيرة تكتنفنى) ٠٠ والتـــزمت الصـــمت ٠٠ أردت أن أكمل ولكنى وجدتها تكمل حديثى ٠٠ بعد أن تغير ضحكها الى شىء من الجدية (فى الحق هذا نفس ما اشعر به) قلت (أنت أيضا ؟ ٠٠ ولكنك فى ظروف تجعلك ترتفعين فوق الحزن وفوق الألم وفوق الحيرة ٠)

قالت (لماذا ؟ ••) أجبتها : (ماذا تريد فتاة مثلك غير الجمال والتفوق والأسرة السعيدة ؟) •• وقبل أن اكمل قاطعتنى (حقا أنا املك كل هذه الاشياء ولكنها لا تحقق لى السعادة •• هناك شىء ينقصنى •• ابحث عنه لا اجده يجعل حياتى غير مستقرة •• نفس ما تحسه أنت) •

ومنذ تلك اللحظة •• أصبحنا اصدقاء أو اكثر •• لا نفترق •• كلما اقتربنا كلما احس كل منا بأنه وجد ما ينقصه •• ما كنا لنفكر فى شكل لعلاقتنا ولا مبرر لها •• كل ما يهمنا أن نكون سويا •

عندما مرت بذاكرتى كل تلك الاشياء كانت ما تزال أمامى تبكى •• عمر طويل •• مر فى ذاكرتى فى ثوان •• ما أسرع ما يمضى العمر •• نظرت اليها لم أرها بوضوح كانت أمامى شيئا اخذ يتباعد شيئا فشيئا •• يكبر ويبهت •• كأن أحزان العمر تتجسد فى شخصها رأيتها واحدة •• اثنتين •• ثلاثة •• رأيتها أشياء كثيرة مختلطة ببعضها •• رددت مستنكرة (ما معنى إنتهى كل شىء ؟ هل سآتى الكلية وحدى ولكن كيف ؟ •• كيف أسير وحدى ؟ كيف اجلس فى المحاضرة وحدى ؟ •• لمن اقص آمالى ومن ابثه أحزانى ؟ •• من يراجع معى

دروسى ؟ من يبنى أحلامى ؟ •• من ! •• وقد اعتدتك حتى اصبحت شيئا لا يتجزء منى) •• كنت اسمع هذه الكلمات وانا اتمزق لكن ماذا عساى آن افعل ؟ •• لكم رددت هذه الكلمات والتساؤلات بينى ونفس مرارا ولكن لم آجد جوابا •• لابد أن اواجه الموقف بشىء من الشجاعة •• لن اضعف •• لن اهرب •• لن ادفن رأسى بين الرمال •• لتكن آلامى ما تكون •• ولكن لن اكون سببا فى المها •• كفى سخريات الأصدقاء •• كفى سخريات الأساتذة كفانا ما سمعناه •• ونسمعه فى كل لحظة •• ما ذنبها تتحمل من أجلى كل هذا •• لا •• لا •• لن اضعف •• ولن ارجع عن قرارى •

عن قرب •• كان (مجدى) يعبث فى التراب بيديه ومجدى هذا يعرفه كل من فى كلية الآداب بالمنيا فهو يبيع السجائر والحلوى والسندوتشات وأشياء أخر لم يتعد الثانية عشر من عمره •• وجدته يبكى ويضع صندوقه بجانبه •• كانت ترقبه فهى تعرفه جيدا •• تخلصنا من فرق الخطوة بيننا •• ومشينا سويا •• واقتربنا من مجدى وسألناه لم يبك ؟ •• قال : « شىء فقدته ضاع منى •• آريد آن اجده هنا فى الارض » وكانت يداه النحيلتان تقلبان التراب •• حاولنا أن

نعرف منه ماذا فقد قال باكيا ٠٠ (لست أدرى شيء
ضاع منى ٠٠ فقدته هنا ٠٠ لست أدرى ما هو ٠٠
ولكن بالتأكيد هنا فى هذا التراب) حاولنا أن نكفكف
دمعه ٠٠ نظرت اليـه كثيرا ٠٠ ثم نظـرت اليها ٠٠
وجدتها تضع الكتب جانبا ٠٠ كتبى وكتبها ٠٠ انحنت
وبدأت تبحث معه ٠٠ تمنيت أن اشكرها كثـيرا ٠٠
هكذا اعتادت ٠٠ الكثير من الاشياء تفعلها بدلا منى
دون أن تجعلنى احس بذلك ٠٠ عندما تعبت ٠٠ وقفت
نفضت التراب عن يديها قالت : (سأعطيك ثمـــن
ماضاع ودع التراب ٠٠ لن تجد هنا شيئا ٠٠ لا تحاول
أن تبحث فى التراب مرة أخرى) ٠٠ اخرجت بعض
النقود من جيبى أعطيتها له ٠٠ تردد فى أخذها أول
الأمر ٠٠ ثم آخذها ووقف ٠٠ ابتسم ٠٠ أخيرا ابتسمنا
له ٠٠ وخرجت الابتسامة التى كنا نفقدها ٠٠ سرنا
سويا ٠٠ كانت الريح قد هدأت الا من نسمات خفيفة
لم تعد هناك اتربه الا ما اراه يمـــلأ عينى فى كل
شيء انظر اليه عداها ٠٠ بدأت النسائم تداعب خصلات
شعرها كالعادة ٠٠ فى منتصف الطريق قالت : (فى
الغد سأراك ٠٠ فى التاسعة صباحا كما اعتدنا) قلت
(لن استطيع ٠٠ المذاكرة تمنعنى) نظرت الى والتزمت
الصمت كانت تدرك أنى اهرب بكلماتى تلك ٠٠ لأننا

لم نحس لحظة بضياع وقتنا كنا نشجع بعضنا على الدرس والنجاح ٠٠ قالت : « ما دمت تصر فهناك شيء لابد أن تعرفه كنت اخفيه عنك بالامس قد خطبت ! »

احسست بالأرض تدور بى ٠٠ وكأن صفعات متتالية أخذت تنهال على وجهى كان كل ما بعينى تراب ربما حتى فى السماء ٠٠ لم اجرؤ حتى أن انظر الى السماء ٠٠ وددت ان اصرخ ٠٠ ان ابكى ٠٠ تمنيت ان اقترب منها ان امسكها بيدى ٠٠ اشدد قبضتى عليها حتى لا يختطفها منى غيرى ٠٠ تمنيت ان اقول لها فيم ينفعنى الآن حب الناس لى ؟ ٠٠ فقدت الاحساس بكل شيء وددت ان احطم كل شيء لم اجد قريبا منى ٠٠ غير الارض التى تحت قدمى خبطت قدمى فى الارض ٠٠ وازدت الما هذه هى المشكلة ٠٠ قدماى هما كل المشكلة ٠ لماذا ابتليت بهذا ؟ ٠٠ عانيت كل هذا فى صمت كما تعودت نظرت اليها بألم وكأن كل سعادتى ٠٠ تجسدت فيها بعد أن فقدتها ٠٠ نظرت الى ٠٠ ضحكت ٠٠ ازدادت ضحكتها قالت لم اكمل حديثى ٠٠ صرخت (لا أريد له بقية) قالت : (البقية هى الشيء المهم ، لقد رفضته) ٠

الحق أني قد ارتحت بعض الشيء .. لكني قلت لها (لا يهم .. اذا كنت رفضت بالأمس فستقبلين غيره في الغد .. أو بعد غد .. في يوم ما ستتزوجين .. وسأبقى أنا وحيدا) قالت بحزم .. (دعك من هذا الحديث .. دعنا نعيش لحظتنا) رفضت أن أسير بجوارها طلبت منها كتبي وقررت أن ينتهي كل شيء في هذه اللحظة قالت (لن تستطيع ان تحملها) قلت (سأحاول) قالت : (الطريق صعب وطويل .. كيف تسيره وحدك ؟) قلت (سأحاول .. لابد ان اقطعه وحدي) مددت يدي .. آخذت كتبي من يديها المرتعشتين الرقيقتين .. تلاقت نظراتنا .. التزمنا الصمت تمنيت ألا تسير .. أو ان ينتهي العمر عند هذه اللحظة .. استجمعت شجاعتي .. ودون كلمة وداع أدرت وجهي بعيدا ، لشد ما اكره لحظات الوداع وكلمات الوداع .. وسرت أولى خطواتي بدونها لاول مرة منذ عرفتها .. نظرت أمامي .. .. كان الطريق طويلا يدي عسيرا علي في أول الأمر أن اسير وحدي توقفت بعد خطوتي الأولى .. وتمنيت أن تعود .. نظرت خلفي رأيتها تسير .. خطوة اثنتين ثم .... وقفت نظرت خلفها .. تلاقت نظراتنا .. خفت أن اضعف أدرت وجهي في الناحية الاخرى وقررت أن اسير

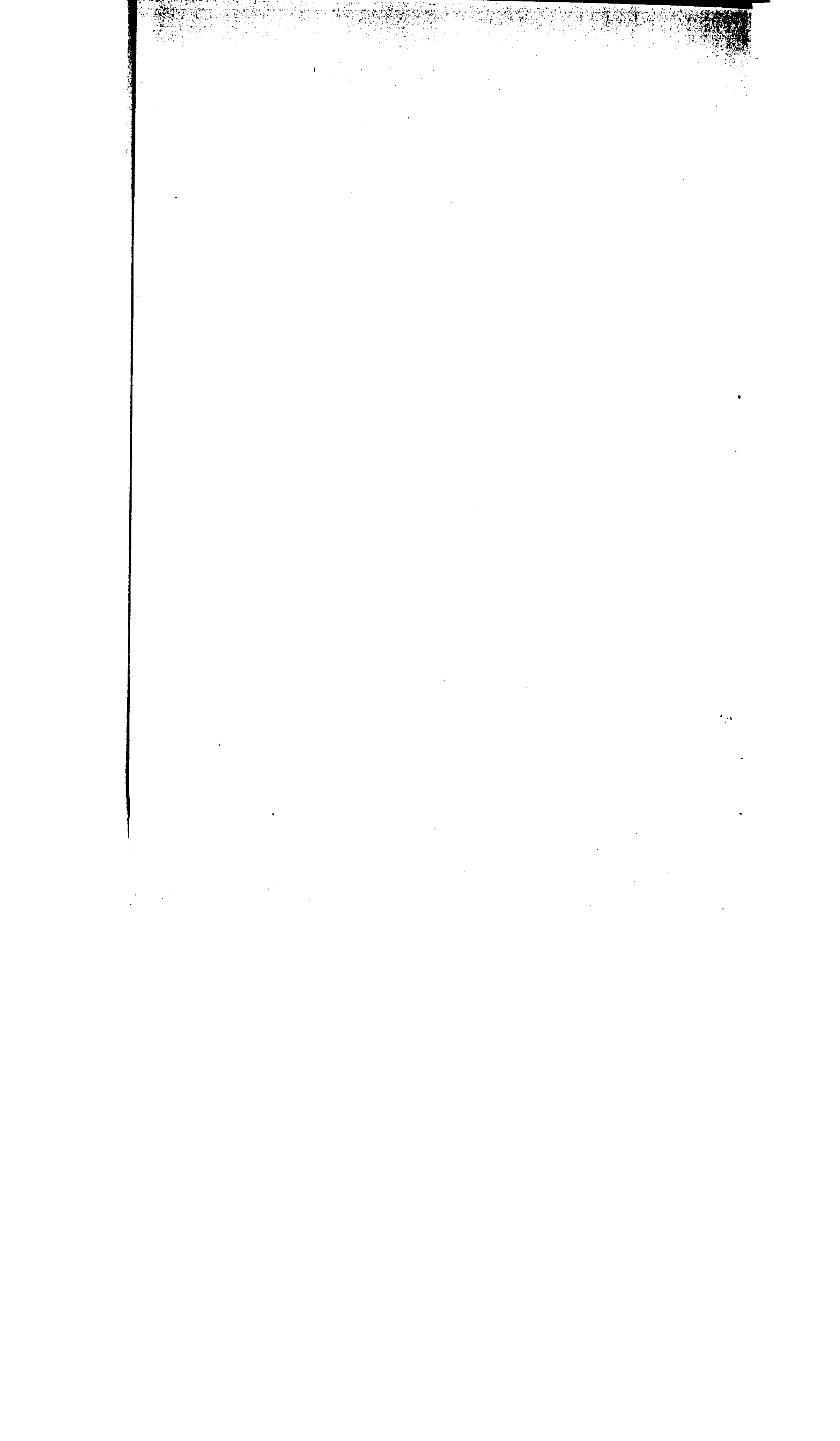
ولن انظر ورائى ··لم احس بشىء كنت ارى واناسير
خطوات سريعة تعدوا بجانبى ·· لم انظر لشىء محدد
احتارت عيناى بين السماء والأرض ·· ولم آر غــير
التراب ·· بعزم سرت خطوتى الأولى ·· ثم الثانية
فالثالثة واحسست بتثاقل كأنى اجر اثقال العالــم
بقدمى ·· ولم اسر الرابعة ·· فجأة ·· ولم أدر كيف
حدث لى ما حدث عندما عرفتها للمرة الأولى يوم بكيت
امامهــا فى المحاضرة وجــدت نفسى على الأرض ··
والكتب متناثرة حولى ·· ما اشبهنى بطفل صغـــير
يتعثر فى خطواته الاولى !

وجدت يدا تساعدنى على آن انهض ·· اقتــرب
الكثيرون لمساعدتى ·· شكرتهم ·· ابتعدوا · فجأة
رأيتها امامى كانت يدها هى التى امتدت لتساعدنى
عندما راتنى جرت بسرعة ورمت كتبها على الأرض··
وقفت ·· دون ان اتحدث ·· تمنيت أن اقول لهــا
أشياء كثيرة لكنى لم استطع ·· وقفت ساهما مفكرا
باحثا عن شىء ما ·· قالت : (عندما نحير جوابا ··
يجب ان تترك الأمر لله ·· ليفعل ما يشاء) أجبتهــا
بأيماءة ·· تركتنى عادت لتجمع كتبها من التراب ··
ثم كتبى ·· وضمتهمــا يديهــا كلتيهمــا الى

صدرها ٠٠ وسارت بجوارى ٠٠ سرت بجوارها ٠٠ ولم اتحدث ٠٠ فى الطريق وجدنا مجـدى ما يـزال يبحث فى التراب ٠٠ تساءلت (ترى ماذا فقد ؟ ٠٠ وعلى آى – شيء يبحث ؟) قلت (بكل تأكيد يبحث عن شيء ما) نظرت الى بتعجب ٠٠

نظرت اليها وجدتها تنظر الى تارة ثم الى السماء أما مجدى فكان فى التراب يبحث ٠٠ سألت نفسى ٠٠ (تبحث فى تلك السحابات ٠٠ عن اى شيء ؟) أما انا فكنت ابحث معها فى السماء تارة ٠٠ وفى التراب مع مجدة تارة ٠٠ بعينى اتابع بحثهما ٠٠ وابحث معهما ٠

عندما هبت نسائم خفيفة ٠٠ ونحن نسير سويا ٠٠ كنت آرى آقداما كثيرة تجرى مسرعة ٠٠ فكرت لـو كانت لى كل تلك الخطوات اما استطاعت ان تساعدنى على الوصول لكل ما اريد ٠٠ نظرت لى طويلا ٠٠ ضحكت اصبحت ضحكاتنا ضحكة واحدة ٠٠



الشيـــك

خطواته كانت سريعة ٠٠ تسابق كل شىء ٠٠ يدخل فى الزحام ٠٠ يضيع فى الزحام ثم ينحنى جانبا ٠٠ يتلمس الهدوء ٠٠ كان ينظر لأعلى للسماء ٠٠ يحس بأنه يحلق فى السماء ٠٠ يسابق تلك الطيور ٠٠شعر لحظتها أنه لا يقل عن احد من هؤلاء البشر الذيـــن يسيرون حوله فى الشارع أو حتى راكبى العربات ٠٠ ولم لا ؟ أليس هو الفائز بالجائزة الأولى فى القصة ؟ كان يريد أن يصرخ بصوت عال أن يقول للجميع انه اديب فنان ٠٠ فائز بالجائزة الاولى فى القصـــة ٠٠ اليس من حقه ان يفرح؟ ٠٠ كان الجوع قد الح عليه الساعة التاسعة صباحا ولم يفطر بعد ٠٠ وضع يده فى جيبه ٠٠ تحسس ما معه من نقود لم يجد غير عشرة قروش ٠٠ عشرة قروش فقط ؟ ٠٠

الأديب الفائز بالجائزة الاولى لا يملك غير عشرة قروش ٠٠ ضحك بسخرية ٠٠ قال لنفسه بفخر معى شيك ٠٠ تحسس جيبه الآخر كان الشيك لا يـــزال موجودا اطمأن عليه قبله قبل ذلك فوق العشر مرات ٠

لم يحلم يوما أن يكون مليونيرا ٠٠ بل أديبا ٠٠ ويمتلك بعض الجنيهات ٠٠ الجائزة لم تكن اكثر من عشرين جنيها ٠٠ لكن الخطط كثيرة والمشروعات عديدة ٠٠ فكر ان يشترى بها مجموعة كتب ٠٠ لكن ألغى الفكرة ٠٠ أن يذهب رحلة مع المدرسة ٠٠ جميع الأساتذة زملاؤه الحوا عليه ان يذهب معهم ٠٠ لكنه كان يرفض ٠٠ الآن يمتلك شيكاً بعشرين جنيها شيئا اضافيا عن المرتب الشهرى ٠٠ اذن يستطيع أن يذهب الرحلة ٠٠ زوجته ومطالب زوجته التى لا تنتهى لكن ماذا عساه أن يفعل ؟ ٠٠ ان كل نقود البنك لا تكفى ما تطلبه ٠٠ مرتبها ينتهى قبل أن تأخذه ٠٠ ارتسمت أمامه ابنته الصغيرة ٠٠ أصبحت هى كل الصور أمام عينيه ٠٠ العروسة التى تحلم بها ٠٠ دمعات سالت على خديه ٠٠ منذ فترة وهى تلح عليه أن تمتلك عروسة ٠٠ تغمض عينيها ثم تفتحها تقول « ماما » مثل تلك التى رأتها عند ابنة الجيران فى الشهر الماضى ٠٠ لكن الصغيرة لا تفهم أن فرقا كبيرا بين أبيها مدرس الابتدائى وبين جارهم رجل الاعمال ٠٠

ــ أو هكذا يقولون له ــ

كل مساء ·· يداعب صغيرته ·· يحمل معه هديته الصغيرة لها ·· والتى لا تزيد عن قطعة من الشيكولاته لكن الصغيرة تحدثه عن العروسة التى تغمض عينيها وتفتحها وتقول « ماما » ·· تحكى له بكلماتهـــــا المتقطعة ·· الرقيقة عن عروستها التى سوف تمتلكها وعن الاستعدادات التى تعدها لها ·· « نادية » هكذا اسمت عروستها قبل آن تمتلكها لا يعرف والدها اسر فى اختيارها هذا الاسم ·· لكنها كل يوم تحكى له عن « نادية » ·· عروستها التى سوف تمتلكها ·· « انى احب هذا الاسم ·· لذا سوف اسمى عروستى «نادية» هكذا تحلم ابنته ·· وتقص له عن « نادية » ·· لكن ماذا عساه ان يفعل ؟ ··

كم داعبت صغيرته اوراقه ومزقتها ·· كان يهرب منها عندما يكتب قصة جديدة ·· يذهب الى صديقــه الذى قرر الا يتزوج ·· شقة لا يشاركه فيها غـــير كوب الشاى والسيجارة ·· واغنيــة « لينـــدا ·· يالبندا ·· يانور عينى » التى يرددها المسجل طــوال اليوم ·· يجلس ليكتب فى شقة صديقه هذا ·· الذى لا يعرف غير مجموعة مجلات وجرائد ·· ليحل الكلمات المتقاطعة ، على الفور ·· قرر آن يشترى لابنتـــه

العروسة ٠٠ فى طريقه وقف أمام احد المحـــــلات التجارية ٠٠ لفتتت نظره عروسة معروضة مثل تلك التى تريدها ابنته ٠٠ بصوت عال قال «نادية» ٠٠كم أحب هذا الاسم سألته البائعة « هل تريد شيئا » ؟افاق لنفسه وضع يده فى جيبه لم يجد غير العشرة قروش تذكر الشيك ٠٠ اعتذر للبائعة ٠٠ خرج يجرى ٠٠ سوف يقبض الشيك ٠٠ ويشترى لها عروستها ٠٠

وصل البنك ٠٠ كان فخورا ٠٠ احس بأن الجميع يشيرون اليه ٠٠ يعرفونه ٠٠ ولم لا؟ اليس هو الاديب الفائز ؟

هكذا سوف يحدث أصدقاءه عندما يعود ٠٠ سوف يحدث زوجته ٠٠ ابنته صغيرة لا تفهم شيئا ٠٠ لـكن سوف يقص لها هذا ٠٠ دخل المكتب سأل عن الموظف المسئول ٠٠ أخذ منه الشيك ٠٠ البطاقة الشخصيـــة تركه ٠٠

أمام المكتب من خلال الواجهة الزجاجية ٠٠ كان يجلس رجل منتفخ البطن ٠٠ فى فمه «البايب» وأمامه

كوب من الشاى .. الموظفون يجرون نحوه يقدمون له أوراقا ليوقعها القاب تسبق أسمه عندما يحدثونه « حضرتك ، سعادة البيه » واشـــياء اخـــر .. كان الموظف يعد مجموعات من الأوراق المالية .. يعطيها لهذا الرجل .. تثبتت عيناه على تلك الاوراق لم ير أمامه غير تلك الاوراق راودته .. لحظتها أحـــلام كثيرة لو امتلك هذه الأوراق لحقق اشياء كثيرة .. لكن أيقظة العامل .. ناداه .. لعن العامل فى سره .. تمنى لو يتركه يحلم .. قال له العامل « انتظر قليلا » عاد لحلمه .. دارت بخلده كل الحيل التى يمكن أن تحدث فى هذه المناسبات .. كل ما تعرضه السينمـا والقصص البوليسية لكبار المجرمين للحصول على هذه النقود .. سخر من أفكاره .. تذكر ان شيكه لا يزيد عن عشرين جنيها قال لنفسه « هل من العدل ان يصرف رجل واحد كل هذه المبالغ ؟ » بصمت ضغط بيده على الشيك .

اقترب منه رجل فوق الخمسين من عمره قال لـــه « اى مساعدة؟ » « شكرا » .. ثم وجدها فرصة لان يعرفه بنفسه .. لأن يقول له أنه أديب .. لكن الرجل بدأ قائلا .. « انا سائق فى هذا البنك منذ ثلاثـــين

عاما ٠٠ كنت اقبض ستة جنيهات ٠٠ وكنت اشترى كل ما اريده وأحيا كما اريد ٠٠ الآن » اكمل حديثه « تضاعف مرتبى عدة مرات لكنى اعانى بمرارة » ٠٠ ابتسم بمرارة ٠٠ ثم قال للرجل ٠٠ « هذه سنة الحياة لابد ان تتعب » ثم « انا كاتب قصة فزت بالمركز الاول هذا العام » ٠٠ولم يكمل سأله الرجل « وكم من النقود تأخذ ؟ » ٠٠ التزم الصمت٠٠نظر للارض ٠٠خرج ذو « البايب » بحقيبته المليئة بالأوراق المالية٠٠ذهب هو للموظف سأله « هل انتهى الشيك ؟ استطيع ان اصرفه الآن ؟ » ٠٠ قال الموظف « انتظر » ٠٠ وانتظر الى أن شرب الموظف كوبا من الشاى وأكل ساندويتشا ٠٠ وانتهى من مشادة مع أحد زملائه ٠٠ عن الاهلى والزمالك٠٠واخيرا قال «الشيك لن نستطيع صرفه ٠٠ لقد ابلغنا أن تصرف لك خمسة جنيهات فقط بدلا من عشرين » صرخ٠٠ارتفع صوته لكن الموظف اطلعه على الخطاب الرسمى ٠٠ بذلك٠٠ اقتنع راحت كل أحلامه ٠٠ لكنه أقنع نفسه بأن شيئا خير من لا شىء ٠٠ دفع خمسة قروش دمغه ٠٠ طلب من الموظف أن يصرف الخمسة جنيهات ٠٠ اتصل الموظف تليفونيا ثم قال له ٠٠« لا نستطيع الآن ٠٠ لابد أن تعود أنت اليهم وتأخذ شيكا آخر بخمسة

جنيهات ٠٠ لأن هذا اصبح باطلا ٠٠ ثم ننتظر حتى يصلنا امر بذلك »سأل«وكم من الوقت يستغرق هذا ؟» قال الموظف « ليس قبل أسبوعين » ٠٠ لعن الموظف فى سره ٠ لعن المسابقة والمسئولين عن المسابقة ٠٠ لعن حتى نفسه ٠٠ صرخ فى الموظف ٠٠« أنا اديب اكتب القصة من عشر سنوات ٠٠ لا أجد فرصة للنشر ولا للكسب ٠٠ اكتب فقط لدرج مكتبى » ٠٠ لم يردعليه الموظف ٠٠ خرج ساخطا ٠٠ دار بخلده ذكرى العام الماضى عندما فاز بالمسابقة وأخذ النقود ٠٠ وانتظر حتى تنشر قصته ٠٠ ولم يحدث حتى الآن ٠٠ خرج الى الشارع ٠٠ وجهه الى الارض ٠٠ علامات الحزن ارتسمت على وجهه ٠٠ خاف أن يراه أحد يعرفه ٠٠ خاف ان يتهم بأنه كاتب قصة ، ضحك بسخرية ٠٠ قال « الى بائع جرائد ٠٠ اشترى جريدة » ٠٠ عاوده الاحساس بالجوع عاد لمنزله ٠٠ استقبلته زوجته بفرحة « الف مبروك ، لماذا لم تنبئن هل قبضت الشيك ؟ » بجواره ـ كانت ابنته الصغيرة تحاول التعلق بساقى أبيها كانت تردد « نادية ٠٠ نادية » خرج مسرعا ذهب الى صديقه ٠٠ فتح الجريدة ليقرأها ٠٠ وجد اعلانا عن مسابقة جديدة فى القصة ٠٠ ٠٠ ترك الجريدة جانبا ٠٠جرى

الى درج المكتب أخرج قصته الأخيرة التى اسماها « احباط » أخذ من صديقه سيجارة ·· قرأ القصة اشعل عودا من الثقاب واحرق به القصة ·· كان يحترق معها ·· أصبح رمادا مثلها ·· جمع الرماد · رماه لأعلى ·· تناثر فى الحجرة ·· قال صديقه وهو يحل الكلمات المتقاطعة فى الجريدة « أخبار اليوم هى نفسها التى قرأناها أمس والتى ستقراها غدا » كتم ضحكة مؤلمة ·· جرى الى المسجل ·· أدار أغنية «ليندا ياليندا يانور عينى » ·· فتح الجريدة بدأ يحل الكلمات المتقاطعة ·· كان السؤال الاول « من هو مؤسس بنك مصر » ·· ضحك بصوت عال ··

فى ١٩٨١/٣/١١

تنويعات موسيقى هادئة

الى : (هـ · ف ·)

١ ـ الجيتـــار :

رحل الجميع ·· وبقيت وحدى ·· لاستمع نغمات الجيتار ·· صوته يتعالى يصبح كل شيء ·· « هل تحب الجيتار ؟ » سألتنى ·· « نعم ·· مثلك تماما » ·· « هل تفهم لغة الجيتار » اجبت « انه يقص شيئـــــــا عنى » « ماذا يقول اذن ؟ » « تنويعات حزينة » لم اكن اسمع غير صوتها ·· كان يتعالى ·· يتعالى ·· رحـــل الجميع وبقيت وحدى ·· لأرحل ما بـــين عينيك ·· صمت ·· « هل تذكرين سيدتى ؟ » انتهت معـــــزوفة الجيتار ·· لكن ما زالت التنويعات الحزينة !

٢ ـ عيون مشرقـــة :

أرى العالم كل العالم فى عينيك ·· عيون الأطفال الصغار ·· عيون الشيوخ الطيبين عيون القديســـين « هل تعتقد أن المرأة سر غامض ·· وان عينيها هذا السر ؟ » سألتنى ·· « أنت لست مثل كل النساء ·· متفردة أنت سيدتى متوحدة أنت سيدتى ·· فى عينيك

أقرأ كل الأسرار ٠٠ عيناك كتاب مفتوح » ٠٠

لم اكن اجرؤ ان انظر لعينيها كثيرا خاصة عندما أحدثها ٠٠ حاولت أكثر من مرة ٠٠ لكنى فشلت ٠٠ ربما هى تستطيع ٠

٣ ـ أغنية للحـــب :

سرنا سويا ٠٠ خطوات واحدة ٠٠ زادت سرعتها هرولنا ٠٠ كان الهواء يعبث بشعرها القصـــير ٠٠ سألتها « لماذا تقصين شعرك ؟ » « ولماذا ادعه طويلا »! قلت « لكى تصبحين جميلة »٠٠قالت « وعندما اقصه؟» نظرت لعينيها ٠ تأملتها طويلا ٠٠ اجبت « تصبحين أجمل » ضحكت بسعادة ٠٠ عيناها كتاب مفتوح ٠٠ أقرأ فيه كل الدنا ٠٠ وكل حكايا المحبين ٠٠ حدثتنى عن آمالها : أن تجفف دمع الباكين وتسعد كل المتعبين قالت : « ساعدنى لنساعد كل المحتاجين »٠٠كانت تحلم بأغنية للحب تعلمها للجميع ٠٠ ويرددها الجميـــــع « أغنية للحب » كانت المقطوعة الثالثة٠٠وسألتنى عن الالوان : « هل تحب أن ترى دائما الابيض أبيض ٠٠ والاسود أسود ؟ » ٠٠

٤ ـ غـــروب : ـ

خفت صوت الموسيقى ‥ بدأ شاحبا ‥ وهادئا بهدوء تام سالتنى : « لماذا تبدو حزينا ؟ »

٥ ـ اغنيه للحــــزن : ـ

كانت تتباعد ‥ تتباعد ‥ تكبر ‥ تعلـــــو ونهبط ‥ تعكس صورتها كل الاشياء ‥ تعلـــــو وتخفت كأمواج البحر ‥ موسيقى البحـــر ‥ ‥ أو موسيقى الموج ‥‥ موج البحروالناى يعــــزف للأمواج ‥ اهديت لها صورة للنهر ‥ وبه مركب تقوده أيدى عدة ‥ كانت تتجمع فى يدين فقط ‥ هما يدى ايزيس ‥ بكت ‥ سالت من عينيها دمعتان وسالت دمعات ايزيس ‥ ملأت النهر ‥ فاض النهر روى الأرض ‥ ونما الزرع‥ وكانت عيناها تجسد حزن ايزيس وفرح ايزيس ‥

سألتنى : « هل تساعدنى لنصنع أغنية للحب نعلمها للجميع ؟ » كانت تصنع أغنية للحب وكنت اقــــرأ الرحيل فى عينيها ‥ رحيلى أنا ‥ رحيلنا جميعا‥ سمعت أغنيتها ‥ احسستها اغنية للحزن ‥

٦ ـ وداع : ـ

كانت الموسيقى هادئة ·· وكان صوتها هادئا ·· « هل تحب الغروب ؟ » قلت لها « الغروب يذكرني بالوداع ·· اخاف أن ارحل قبل أن اخلق معك اغنية للحب » قالت « لا تكن متشائما ، حياتنا كلها شروق » وكانت ايزيس تصل الغروب بالشروق والشروق بالغروب ·· كي تجمع اشلاء اوزيريس ·· سألتنى « هل أنا اشبه ايزيس لهذه الدرجة ؟ » وكنت دوما أحدثها عن ايزيس ·· كنت اقرأ فى عينيها قصص العاشقين ·· وكانت تلوح فى عينيها ابتسامات الأطفال الطيبين ·· كانت تصنع أغنية للفرح ·· تعلمها للاطفال الطيبين ·· وتلقنهم اغنية للحب ·

وعندما تجسد الحزن والفرح فى عينيها ·· كان حولها مجموعة من الاطفال مختلفى الاشكال ·· وكانوا يرددون معها اغنية للحب ·· سألت واحدا منهم « ما اسمك ؟ » أجاب « اسمى حورس » ·· والثانى « حورس » أما الثالث فكان « حورس » ·· ولم أسأل البقية اذ كانوا جميعا يتعلمون منها أغنية للحب ·· ونظرت فى الأفق كان الغروب ·· وكانت فى عينيها

دموع ·· رحلت ·· رحلت وما زلت ابحر وحدى ما بين عينيك ·· انتهت الموسيقى ·· بمقطوعة الوداع · ولم استطع استماع المقطوعة الأخيرة ·· مقطوعة الرحيل ·

٧ ـ ···

كل يوم ·· سيدتى اسمع نفس « الشريط » الذى يحمل نفس الموسيقى ·· ولا انسى يوم أن اهديتنى هذا الشريط ·· كلما مرت الأيام ·· احسك تقتربين منى فأراك فى عيون الاطفال الطيبين ·· الاطفال المتعبين الاطفال الذين تعلموا أغنية للحب ·· كدنا ننسى أغنية الحب ·· سيدتى الخالدة ·· حورس فى الانتظار أن تأتى ·· او يرحل هو اليك ·· عبر النهر ·· وعبر الطرقات ·· نتسمع تنويعاتنا الموسيقية الحزينة ··

٨ ـ « تذييل » :

ـ « قلت الذى لدى ·· لم يبق فى يدى

من رحلة الأقوال غير باقة الأشعار

حكيت كل شيء

لم يبق فى عينى ٠٠ من ذكريات الأمس

غير لوعة التذكار » (١)

فى ١٩٨١/٩/٧

---

(١) فتحى سعيد

القـــزم والعمـــلاق

جلس شهريار كما اعتاد كل ليلـة . ليستمـع الى حكايا شهر زاد ·· شهريار طال انتظاره ·· وشهـر زاد طال صمتها ·· استحثها على الحديث فلم تجب ·· كانت شهر زاد على غير عادتها ·· بدت ساهمـة ·· مفكرة ·· ماذا عساها أن تفعل ·· نظر اليها الملك بنظرات متوعدة شريرة ·· شهر زاد كانت خائفة ·· قطعت صمتها وقالت : ــ

(مولاى الملك شهريار ·· سأروى لك حكاية ·· حدثت فى وضح النهار ·· بطلها شهبار خادم الانس والجان ·· فى سالف العصر والأوان ·· و ··)

وعادت لصمتها ·· لم تعد تستطيع الحديث ·· ولا قص الحكايا ·· أخيرا قال لها الملك ·· « شهر زاد ما الذى حدث ؟ » ··

ــ لا شىء ·· يامولاى ·· غير التعب والمرض ··

ــ لست بمتعبة ولا مريضة ياشهر زاد ·· غير أن حكاياك نضبت ·· وعليك أن تعترفى بهذا ··

ـ وهب هذا حدث ·· فماذا عساى أن افعل ··
وأنت ماذا تفعل ؟

ـ أنا سأفعل ما يجب أن يحدث ··

ـ ماذا تقصد ؟

ـ القتل ياشهر زاد ··

ـ بعد الف يوم وليلة ·· تقتلن ؟ ألم تستمتـع
بها طوال ألف ليلة ألم تكن تنتظر على شوق لأكمل
لك الحكاية فى اليلة التالية ·· ؟ بعد كل هـذا
تقتلن ؟ ألم تحبنى ؟ ··

ـ دعينا من هذا الحب والعواطف ياشهر زاد ··
فهاذا زاد آنا فى غنى عنه ·· آريد الحكايا ··

ـ لن تفيدك ياشهريار ·· لم تنفعك يامولاى ··
غير آنها كانت تؤجل قطع رقبتى كل ليلة ·

ـ اذن فستقطع الليلة ياشهر زاد ··

ـ مولاى ·· دع هذا للغد ·· فعندى حكاية ··
سأقصها عليك اليوم ··

ـ وماذا تنتظرين ياشهر زاد ·· هيا ·· هيا ··
فكرت شهر زاد كثيرا ·· ماذا تقص عليـه ··

حكاياها لم تنضب كما يظن شهريار ٠٠ لكنهـا سئمت هذا الملك لم يتغير ٠٠ لم تؤثر فيه الحكايا فما فائدتها اذن ؟ ألف ليلة كانت تستطيع أن تختصرها فى ليلة واحدة لتقتل كغيرها من بنات جنسها ٠٠ ليكفرن عن خطيئة زوجته الملكـــة الراحلة ٠٠ التى خانته مع العبد الأسود فى ظلام الليل ٠٠ أترى هل هو حقا ٠٠ قتلها من أجـل هذا ؟ ام من اجل شيء اخر لا يدركه الا شهريار ومن يعرف حقيقة شهريار ؟ ٠٠

شهر زاد فكرت كثيرا ؟ واخيرا قـــررت ٠٠ اقتربت من شهرياركثيرا ٠٠وعزمت على أن تقص له الحقيقة ٠٠ حقيقة قصته التى لم يدركها بعد عله يستيقظ ٠٠عله يصبح ملكا آخر نعم ستقص له قصته ٠٠ وليكن حتفها ٠٠ ولتكن نهايتهـــا لا يهم ٠٠ لقد سئمته وسئمت كل شيء ٠٠تحملت كثيرا من اجل أن يتغير شهريار الملك ٠٠ لكن دون جدوى شهر زاد بدأت تحدث الملك ٠٠

(مولاى الملك ٠٠ هذه هى الليلة بعد الالف معك ٠٠

سأقص لك فيها آخر حكاياى ٠٠ ولن أقص فى ليلة واحدة بعـد ذلك ٠٠ انتهت كل حـــكاياى ٠٠

ولـقـــل لى ما تشـاء ·· لتقتلن ان اردت فآنا ادرك منذ جئت هنا فى الليلة الاولى أن حياتى منتهية ·· فقط كنت أريد أن افعل شيئا ، ربما تستطيع ان تفهم ·· ان تدرك ·· ان تتغير ··)

ـ مولاى الملك ·· حكايتى الأخيرة ·· ليست عن الانس والجان ·· بل من عالم الحيوان لكنهـــا يامولاى ·· ليست بعيدة جدا عن الانسان ·· بطلاها ·· أسد وثعبان ثم جموع ·· جمـــوع كثيرة يامولاى ·· نعم جموع من عالم الحيوان لتتأملها جيدا يامولاى ربما تستطيع أن تعـــرف من الآسد ومن يامولاى يكون الثعبان··لا تنسى يامولاى ··الجموع ·· الجموع هى كل شىء هنا يامولاى ··

ـ هل لك أن تسميها ياشهر زاد ؟

ـ الجموع هم الذين سموها··يامولاى ولست انا·

ـ وبماذا سموها ياشهر زاد ؟ ·

ـ قالوا··كما سمعت يامولاى··«القزم والعملاق»

ـ العملاق ياشهر زاد ؟

ـ نعم والقزم يامولاى ··

– هيا ياشهر زاد .. فلتقصى قصتك .. لتنقذى الليلة رقبتك ..

– مولاى .. القصة باختصار .. جاءت من الغابة حيث يعيش الحيوان .. عالم الحيوان ، والغابة مليئة بالحيوانات .. على مختلف اشـــكالها .. وانواعها وطبائعها .. ولكنها يامـولاى كانت تعيش فى أمان .. يسودها السلام .. والحب والوئام .. الخير كثير .. فلها ان تأكل ما تشاء من الطعام .. والماء وفير .. لكن طبائع الحيوان غريبة .. وشهواتهم عجيبة .. الأسد من قرب كان يراقب أحوال الغابة .. لم يكن راضيا عما يحدث .. ولم يستطع حتى ان يهمس .. يريد ان يثور أن يكون هناك الذعر والخوف ..القلق فماذا يفعل ؟ هو يريد أن يكون شيئا غير الجميع متفردا .. متميزا .. عندما فكر .. كان قد أزمع على شىء .. ذهب ليشرب .. كان هناك نمـــر يشرب من عين الماء .. لم ينتظره .. لم يذهب لغيرها اصر أن يتقاتل مع النمر .. والنمر كان وديعا مسالما .. الأسد استغل هذا صرعه .. قتله فى البئر أزاحه .. ومات النمر .. الحادثة

انتشرت بين الحيوانات ·· كل من ينقلها يزيد
عليها ·· البعض يقول آن النمر تحدى الأسد
فلم اأثاره ·· غضب الاسد وقتله ، البعض يزيد
ويقول كانت مجموعة من النمور ·· والاسد
صرعهم جميعهم ·· وهكذا ·· شيئا ·· فشيئا
أصبحت آسطورة واصبح الاسد بطل الاسطورة ··
كان سعيدا ·· عندما يسير ، الجميع يقفون ··
يفسحون له الطريق ·· آو يبتعدون ·· خوفا منه
البعض رأوا ان يحتموا بهذه الأسطورة
ويستغلونها ·· اجتمع قلة من ذوى الطبائع
الغريبة ·· والشهوات العجيبة ذهبوا للأسد
قالوا له انت عملاق الجميع أقزام أنت وحدك
عملاق ·· الاسد ازداد ، تيها وغرورا ·· الاسد
وقف فى الغابة على صخرة عالية ·· وقال « من
آنا ؟ » ·· القلة التى كانت حوله قالت : « أنت
عملاق ·· أنت ملك الغابة » ·· هذه القلة
نشرت ذلك بين جميع الحيوانات ·· وجميعهم
خاف ·· وجميعهم صدق تلك الاسطورة الاسد
العملاق ·· ازداد بطشا وجبروتا ·· لكى يثبت
أنه عملاق ·· ولكى يثبت لمن حوله أنهم فى
حماية العملاق ·· جعلوا يقتلون الحيوانات

الاخرى ٠٠ يأخذون طعامهم ٠٠ يمنعونهم من الشراب ٠٠ من يومها ضاع السلام ٠٠ من يومها ولى الأمان ٠٠ وتحولت الغابة لشيء رهيب ٠٠ الاسد الرهيب فرض على الحيوانات أن يجتمعوا كل صباح حوله ويقف هو فوق الصخرة العالية والقلة التى حوله يقولون « من العملاق » ؟ ٠٠ فيشيرون جميعا على الاسد ٠٠ وكأنها صلوات يؤدونها له ٠٠ ولكن هذا لم يدم ٠٠ سرعان ما تغير ٠٠ لقد رفضت الجموع ٠

ـ ماذا حدث ياشهر زاد ٠٠ بربك ماذا حدث ٠٠؟

ـ كان هناك بين الجموع ثعبان يلتزم الصمت أحيانا عندما يقولون للأسد أنت عملاق كان هو يلتزم الصمت ٠٠ الأسد ٠٠ رآه ذات يوم وهم يصلون له ٠٠ سأله «من العملاق ٠٠؟» تردد كثيرا ولكنه زحف بين الجموع ، صعد الصخرة التى لم يكن يصعد اليها أحد وقال للاسد : « هؤلاء العمالقة ٠٠ كل منهم عملاق ! » ٠٠صرخ الاسد: « وأنا » ؟ قال الثعبان « أنت قزم ٠٠ قزم » ٠٠ وتعجبت الجموع كانوا سعداء ولكنهم خائفين وعندما سألهم الاسد « من العملاق »؟ ٠٠لم يجيبوا وانصرفوا ٠٠

فى المساء تهدم جحر الثعبان ·· وجد صغاره مقتولة
ذهب ليشرب ·· منعوه جعل يأكل ·· انتزعوا
منه الطعام ·· الثعبان جعل يزحف طول الليل
الحيوانات كلها لم تعد حيوانات ·· كانت قد
آزمعت على شيء ··
فى صباح اليوم التالى ·· وقف الاسد مكانه
فوق الصخرة العالية ·· والحيوانات مكانها
تحته ·· ملتفة حول الصخرة ·· الثعبان كان
متعبا جاء متأخرا . عندما جاء ·· تغير نظام
الحيوانات ·· التفوا حول الثعبان ·· الاسد كان
يسخر منه ·· كان واثقا من أن الثعبان سيكون
مثل باقى الحيوانات وفعلا كان مثلهم ·· ولكنهم
جميعا كان لهم رأى آخر ··
ـ ما هو ياشهر زاد ؟ ما هو ؟ الطاعة للاسد العملاق
أليس كذلك ؟ ·· نعم لابد أن يكون كذلك ··

ـ مولاى الملك ·· عندما صرخ الاسد العملاق ··
« من العملاق ؟ · » قال الثعبان « هؤلاء » ··
وأشار للجموع ·· وسأل « وأنا ؟ » « اجاب الجميع :
«انت قزم · ·قزم» نحن مخطئون لاننا الذين جعلناك
عملاقا ·· لكنك لا تعرف حقيقة نفسك ··

تجبـــــرت ·· وظلمـت ·· ونسـيت أنك
بدوننا قزم ·· أنت لا تـــرى نفســـك ··
عندماحاول أن يهجم عليهوجدهم جميعا يتقدمون
نحوه دون خوف ·· وقف ·· صرخ فى القلـة
من تابعيه ·· « اقتلوهم ·· اقتلوهم جميعا ! »
الجموع كانت تزحف عليه وعلى صحبه ·· فجأة
وجد صحبه ·· يهربون ·· ووجد نفسه وحيدا
ذهل ترك الصخرة وهرب ··

الاسد ذهب لعـين الماء التى قتل عندها النمر ··
نظر فيها ·· يقولون أنت لا ترى نفسك ·· أنت قزم
نظر فى الماء ·· وجد صورته هى كما هى لم تتغـير
كيف أكون قزما اذن ؟ فجأة رأى صورة النمر الــذى
قتله فى المرة الاولى ·· اختفت صورة النمر ·· ثـم
رأى صورته ·· وتذكر هرب صحبه·· تغيرت صورته
رآها شيئا آخر ، شيئا ·· ينكمش وينكمش ·· شيئا
صغيرا جدا ·· (أرنب) ·· وقفت الصورة عند هذا
المرأى ·· كانت هى صورة الارنب ·· للمرة الاولى
رأى نفسه قزما ·· حزن ·· تألم ندم ·· كيف أصبح
قزما ·· حاول أن يتذكر صورته الاولى لم يستطـع
كانت صورة الارنب هى الشىء الوحيد الذى يستطيع
أن يتذكره ·· القزم هى الصورة الوحيدة التى تلازمه

وهى التى تلائمه ·· خلال يومين كان يحس بأن كل الحيوانات تراه قزما ·· لم يستطع الانتظار ··

فى اليوم الثالث جرى سريعا··وقف فوق الصخرة صرخ « من العملاق ؟ » لا أحد يرد صرخ « من القزم » ؟ سمع «أنت» الحيوانات غير موجودة من الذى قالها اذن كان هووحده فى المكان كانقد أدرك كل شىء نزل من على الصخرة جرى الى عين الماء نظر فيها رأى أرنبا ·· قزما قفز ليقاتل هذا الارنب القزم ·· ليؤكد أنه عملاق ·· سولاى الملك ·· لا أحد يعلم هل اصبح عملاقا ام قزما فى الماء ·· كل ما هو مؤكد أنه نزل الى الماء ولم يخرج ·· كل ما هو مؤكد ·· أنه ذهب حيث ذهب النمر !

ـ للاسف ياشهرزاد انها حكاية سخيفة ·· للمرة الاولى لا تعجبنى حكاياك ··

ـ لانها لم تنته بعد يامولاى ··

ـ ألها بقية ؟ ··

ـ نعم ·· الثعبان ··

ـ وماذا عن الثعبان ؟ هل أصبح عملاقا هو الآخر·

ــ اجتمع الرأى ·· فيما بعد ·· يامولاى ·· أن يكون هذا الثعبان الذى قال للاسد انت قزم ·· قاضيا لهم وحاكما ·· والحق أنه فى أول الامر كان عادلا يصعد فوق الصخرة وهم حوله ·· ليقضى بينهم ويرشدهم ويساعدهم ·· غير أن البعض جمعوا له يوما ·· بعض البيض ·· بيض بعض الطيور وقدموه له ·· أعجبه ·· لم يذق مثله من قبل ·· قالوا له هذا هو غذاء الملوك غذاء العمالقة ·· قال لهم ·· « لتأكل منه الحيوانات جميعا » ·· نصحوه بأن هذا غذاء خاص به ·· ليتميز عنهم ·· أعجبه الغذاء اعتاد عليه ·· أدمنه · حتى أن الجلسة فوق الصخرة ·· على قمتها بدأت تستهويه فترك الحيوانات ·· وأصبح بغذائه كالعملاق وخافت الجموع فرددت «أنت عملاق» قالوا له لقد تغيرت ·· ولم تكن هكذا يوم اخترناك قال : « هذا شيء طبيعى ·· الصغير يكبر ·· والقزم عندما يتغذى غذاء الملوك ·· لابد أن يصبح عملاقا» ·

ــ وبعد ياشهر زاد ؟ ··

ــ لست أدرى يامولاى عن الثعبان كثيرا ·· فلست اعرف ما فعله له الجموع ·· كل ما اعرفه ·· هو أن

الثعبان نزل من على الصخرة ذات يوم يزحف بين دمائه جريحا ·· وفى آذانه كلمة أنت قزم ·· تتردد ·· لست أدرى ما الذى حدث ·· غير أن الثعبان ـ كما قيل لى ـ سأل أول من قابله ·· أين عين الماء التى ذهب اليهـا الاسد ··

ذات يوم يامولاى وجدوا عين الماء بهـا دماء ·· وآثار الثعبان حولها وهنا أدرك شهر زاد الصبـاح فسكتت عن الكلام المباح ·· شهريار كان ساهما مفكرا قال :

ـ شهر زاد سؤال واحد أريد الاجابة عليه ·· هل كنت تعرفين هذه الحكاية منذ الليلة الأولى ؟

ـ لا استطيع الاجابة يامولاى ·· فى الغد نكمل الحديث ·· نم يامولاى ··

ـ لا استطيع ·· حكايتك اقلقتنى ·· لقد أدركت ما لم يدركه غيرك يامولاتى ·· لقد وصلت الى ماكنت اخشى أن يصل اليه غيرك ·· عرفت الحقيقة ياشهر زاد ··

ـ اذن فهمت ما أقصد ياشهريار ؟ ··

ـ وهل تظنيني أحمقا ٠٠ انى افهم حكاياك منذ الليلة الاولى ٠٠ ولكنى كنت ادعى عدم الفهم حتى لا تدركين ٠٠ شيئا ٠٠ يبدو أنك كنت تعرفين كل شيء ٠٠ ارجوك أجيبى عن سؤالى ٠

ـ لكى آجيب على سؤالك ٠٠ تجيب آنت اولا عن سؤال ٠٠ « لماذا كنت تقتل كل يوم فتاة ؟ » ٠٠ شهريار آخيرا اجاب ٠٠ شهريار لا يحب القتل ولا الدماء ٠٠ لكنه يريد أن يظل عملاقا ٠٠ كل فتاة كانت تقترب منه كانت تعرف الحقيقة ٠٠ تعرف أنه قزم ٠٠ كان يعرف أن كل النساء خائنات مادام أن روجته الاولى كانت خائنة كان يخاف ان يصبح الصباح فتقول للشعب حقيقته ٠٠ جده الملك قال له يوما (الدماء تجعلك عملاقا) فى الصباح كان يقول قتلت هذه الفتاة لانها تريد ان تنشر بين الناس أنى قزم » ٠٠ الحاشية تخاف ٠٠ تلتزم الصمت تقول له «أنت عملاق» ٠٠ شهر زاد اجابت عن السؤال . قالت:

« نعم ٠٠ ولكنى اردتك ان تتغير » ٠٠ شهريار وعدها أن يتغير ٠٠ فى الصباح جعل المنادون يجمعون الناس أمام الملك ٠٠ امام الملكة ليقولوا رأيهم بصراحة ٠٠

هل هو قزم أم عملاق ‥ هـل يصلح للحـكم أم لا ؟
هكذا وعد شهر زاد ‥ اجتمع الناس سألهم الملك ‥
وقفت شهر زاد ‥ وقالت ‥ « أنا واحدة من الجموع
أنت قزم ايها الملك ‥

لكن لو عدلت وأحببت لاصبحت عمـــلاقا » ‥
الجموع ‥ تعجبت ‥ هل يرجع الملك فى كلامه ‥
هل يلغى الانتخاب ‥ الملك الملك فوجىء ‥ صرف
الناس ووعدهم بان استطلاع آرائهم سيكون فى الغد
صباحا ‥

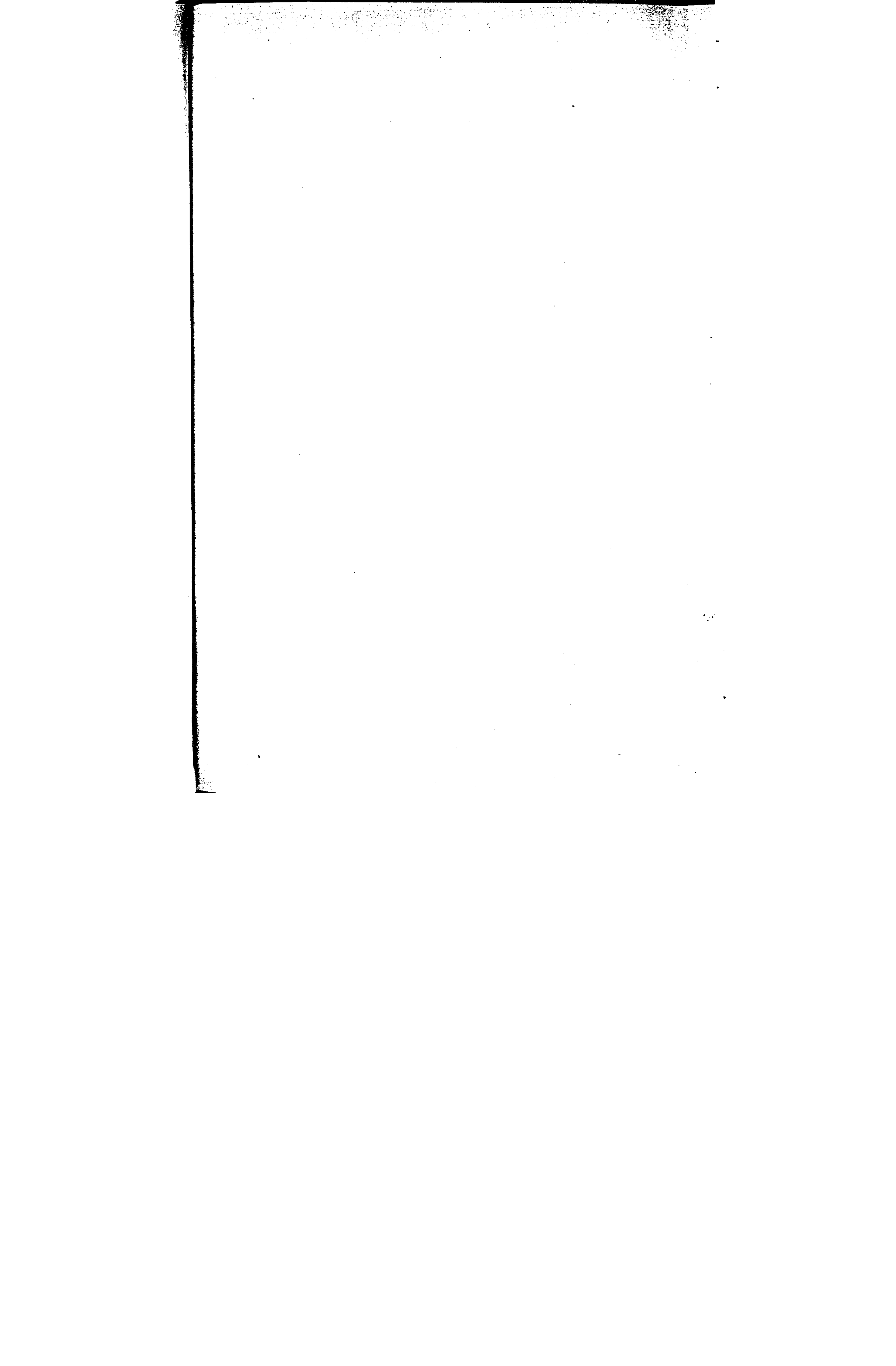
وفى المساء شـــهر زاد كانت تبـكى ‥ قالت ‥
« أحببتك يامولاى ‥ واردت لك الخير ‥ أردت ان
تكون محبوبا بارادة الناس لا بارادة قوة حاشيتك ‥
عندك الفرصة للاصلاح يامولاى ‥ طلب منها أن تقص
له قصة قالت ‥ « انتهت كل حكاياتى أيها الملك ‥ مادمت قد
أدركت كل شى » ‥ الملك مصر أن تقص عليه شهر
زاد ‥ شهر زاد بدأت تعيد عليه قصة القزم والعملاق
انتهت القصة ‥ فسكتت شهر زاد عن الكلام المبـــاح
عندما أدركها الصباح قالت : « مولاى هل فهمت فى
خلال ألف ليلة وليلة ما كنت اقصده من الكلام المباح ؟

هل ادركت ايها الحاكم الذى احبه الكلام الغير مباح ؟»
شهريار لاول مرة يقبلها شهريار يقضى ليلته معها ..

فى الصباح كانت الجموع أمام القصر لتعلن رأيها فى الملك .. الجموع تريد الملك الملك خرج اليهم .. قال : « قولوا رأيكم بصراحة » .. الجموع تريد الملكة .. الملكة سكتت عن الكلام المباح وغير المباح عندما أدركها سيف شهريار عند الصباح .. الجموع عرفت ذلك .. الجموع هتفت : « أنت عملاق .. أنت مليكنا ! » ..

شهريار للمرة الاولى يقضى ليلته دون شهر زاد.. دون أن يطلب فتاة غيرها وتروى حكايات ألف ليلة وليلة .. أن الملك منذ ذلك اليوم بدأ يهجره النوم وصباحه يقضيه فى شئون الرعية يصلح ما تلف ويساعد من يستطيع وفى الليل يغلق بابه دونه ليستمع الى شهر زاد التى لم تمت فى خياله وهى تقص له كل يوم قصة القزم والعملاق .. شهريار لا يرى فى كل الجموع غير شهر زاد ولا يسمع من محدثيه غير القزم والعملاق .

١٩٧٨/٧/٨ م



أرض الصبـــــار

« هذه الارض الميتــة •• أرض الصبــار حيث تنصب الاوثان ••• وحيث نتلقى الضراعة من اكف الموتى »
« اليوت »

الاصوات كانت تتعالى •• تقترب •• تطغى على كل شيء •• اصوا تيعرفها جيدا •• ساخرة •• هازئة تنطلق بلا حدود •• وتعبث بلا رقيب •

فى المساء اجتمعوا حوله •• قالوا له « لتقـــدم ساقيك قربانا •• لابد أن تضحى لابد أن تفعل شيئا لست انسانا عاديا •• على عاتقك أشياء كثيرة ••• واجبات كثيرة •• التزامات » ـ فى المساء قالوا له •• « الجميع فى انتظارك سوف تخلصنا من مصائبنـــا اللعنة سوف تزول ـ لو قدمت ساقيك قربانا » ••• تركوه يفكر وخرجوا ـ كان من الصعب عليه أن يقبل الفكرة ـ كيف يقدم ساقيه قربانا ؟ لماذا هو بالذات ؟ أسئلة حيرى كانت تراوده •• لم يصل لقرار حازم ـ نام حتى الصباح •

• • •

الاصوات كانت تتعالى ‥ تقترب ـ تطغى على كل كل شيء ‥ أصوات يعرفها جيدا ‥ ساخرة ‥ هازئة تنطلق بلا حدود ـ وتعبث بلا رقيب ‥

قالت له : ميعادنا فى الصباح ‥ مع الفجر الجديد هناك عند مفترق الطرق لنرحل الى المدن الوردية ـ لنترك أرض العبثية ‥ كان يلتزم الصمت ـ تارة ينظر الى السماء وأخرى يعود بناظرية الى الارض ‥ التراب ‥ التراب ‥ يملأ كل ناظريه ‥ بات يحلم عند مفترق الطرق كان اللقاء ‥ مع الفجر الجديد ‧ كان اللقاء ‥ فى صمت، كان يبتسم ‥ قالت : « آخيرا سوف تشعر بالأمان » قالت : « احلم بزيتونة ورغيف عيش ‥ احلم بشجرة ظليلة » ‥ فى صمت كان ينظر لها يحتويها بعينيه ‥ تشابكت أيديهما بدأ خطواتهما سويا ‥ مع الفجر الجديد ‥ عند مفترق الطرق ‥ ـ لكن ‥

الاصوات كانت تتعالى ‥ تقترب ‥ تطغى على كل شيء ‥ اصوات يعرفها جيدا ‥ ساخرة ‥ هازئة تنطلق بلا حدود ‥ وتعبث بلا رقيب ‥

● ● ●

رآهم طوال القامة ·· وقصار القامة ·· رآهم نحافا ·· وبدانا ·· عيونهم مفتوحة لكن جافة ·· لا حياة فيها ·· عظاما كانوا لكن يتحركون ·· التفوا حوله وحولها ساقوهم الى الدائرة الرمادية ·· فى وسط الدائرة كان التمثال العملاق ·· الاله العملاق ربهم العملاق··حوله كانت عظام أيدى الموتى ترتفع جماجم الموتى تنظر اليه لاعلى ·· عيناه كانتا جافتين لا حياة فيهما اشار اليهم ربهم العملاق قالوا « لتقدم ساقيك قربانا » رفض بشدة ·· رفض فى صمت ·· اختطفوها منه ·· أبعدوها عنه ·· كانت تراه وتبكى لا تملك شيئا ·· لا تملك حتى أن تصرخ ·· امتدت يد التمثال العملاق عظام طويلة تتحرك ·· ربتت على ساقيه ·· مرة ·· واثنتين ·· وثلاثا ثم اصبحت ساقيه بلا حياة ·· تركوها تذهب اليه ·· رفضت خافت ·· تراجعت ·· انضمت الى مملكة الموت ·· انضمت الى حاشية الموتى ·· رفعت يديها فى خشوع نظرت كالشاخصين ابصارهم الجافة حولها ·· الى التمثال العملاق ··

ساقاه بلا حياة لكن ما زال يلتزم الصمت ··

• • •

الاصوات كانت تتعالى ‥ تقترب ‥ تطغى على كل شىء
اصوات يعرفها جيدا ‥ ساخرة ‥ هازئة ‥ تنطلق
بلا حدود ‥ وتعبث بلا رقيب ‥

• • •

استيقظ من نومه ‥ واستعد لان يذهب كما اعتاد
كل يوم ‥ يسير نفس الطريق ‥ وحده دون مساعدة
أحد غير كرسيه المتحرك ‥ الذى يلازمه أينما ذهب
الطريق كان يطول ‥ نظرات المارة له تضايقه ‥
لكنه اعتاد عليها ‥ فى صمت يسير ‥ يقرر ‥
الى مكانه المفضل وصل ‥ الدائرة الرمادية ‥ لكن
مليئة بالزهور ‥ والورود ‥ فى الحديقة يجلس
وحده ‥ ليشرب الشاى وحده ‥ يدخن سيجارته
وحده ‥ ثم يكتب ما يجول بخاطره ‥ الجميع حوله
يتضاحكون ‥ يسرعون يقتربون ويبتعدون لكن
شيئا لا يضايقه غير أنهم يقطفون الزهور التى
يريدونها ‥ وهو لا يستطيع ، كرسيه المتحرك
لا يمكنه من الوصول ليأخذ الزهرة التى تعجبه ‥
لكن آحدا لا يقترب منها ‥ وهو لا يفكر أن يطلب
مساعدة أحد جاءت هى اقتربت منه ‥ جلست بجواره

تحدثت معه ٠٠ ابدت اعجابها به ٠٠ لكنه ما زال يلتزم الصمت ٠٠ امتنع عن الذهاب الى هناك ٠٠ خاف أن يراها ثانية أن يفكر فيها كثيرا ٠٠ كان يهرب من مثل هذه المواقف ٠٠ لكن لم يستطع ٠٠ ذهب ووجدها وترك لها نفسه ٠٠ ومشاعره ٠٠ أخرجته من دائرة صمته منحته ما لا يمنحه الآخرون ٠٠ ومنحها فى صمت كل ما يملك ٠٠ أصبحت كل عالمه ٠٠ سألته ذات مرة : « ماذا تريد لاقدمه لك ؟ ٠٠ » تردد للحظة لكن احس بحبها له ٠٠ قال : « هذه الزهرة » اشار على الزهرة التى كانت جزءا من عالمه فى المساء قالوا له ٠٠ « قدم له زهرة قربانا » وصفوا له نفس الزهرة التى يحبها وسوف يعيد الحياة لساقيك » تمثال عملاق فى وسط الحديقة فى حجرة خاصة ٠٠ يتقدمون له الزهور ٠٠ يمنحهم ما يشاءون ٠٠ كان يسخر منهم كل يوم كان يرقب ما يفعلون ٠٠ يقدمون الزهور ويرفعون أيديهم اليه — بالرجاء ٠٠ تمثالهم ٠٠ ذو عينين جافتين ٠٠ أخيرا قال لنفسه « ولم لا ؟ ٠٠ كل الاشياء عندى تتساوى » بات يحلم بالصباح ٠٠ بالزهرة التى سوف تقدمها له ليقدمها له ٠٠ قربانا ٠٠ لكن لم يستطع بأن يحلم أن تعود الحياة لساقيه ٠٠ فى الصباح ذهب هناك ٠٠ كان يحلم بها ٠٠ ويحلم بالزهرة ٠٠ فى

الطريق كان الشبح الاسود يتباعد منهزما ٠٠

الاصوات تخفت ٠٠ تبتعد ٠٠ تنزوى ٠٠ أصوات يعرفها جيدا كانت ٠٠ ساخرة ٠٠ هازئة ٠٠ تنطلق بلا حدود ٠٠ تعبث بلا رقيب لكنها الآن تتراجع منهزمة ٠

هناك كان ينتظرها ٠٠ جاءت ٠٠ احضرت الزهرة ثم تبتسم ٠٠ اخذها منها ٠٠ احس أنها والزهرة شيء واحد متلازم ٠٠ اشار لها أن تجلس ٠٠ رفضت دون سبب ٠٠ خطفت منه الزهرة ٠٠ مزقتها ٠٠ رمتها فى الأرض ٠٠ سحقتها بقدميها مع التراب ٠٠ قالت: « وداعا » ٠٠ سالت منه دمعات سألها : « هل أنت كالآخرين ؟ »

قالت « ولم اختلف عنهم؟ » ٠٠ تركته لحزنه ويأسه وانطلقت انضمت اليهم ٠٠ اصوات ضحكاتها وضحكاتهم كانت تتعالى ٠٠ وضع يديه على عجلات كرسيه ليحركه ويبتعد من بعيد نظر اليهم ٠٠ وجدهم عظاما جماجما ٠٠ عيونا بلا حياة ٠٠ هياكل لا تنبض ٠٠ جميعهم ملتفون حول التمثال وعظام أيديهم مرفوعة ٠

في طريق العودة كان يلتزم الصمت ·· صورتهم أمامه ·· لكن ··

الاصوات كانت تتعالى ·· تقترب ·· تطغى على كل شيء ·· أصوات يعرفها جيدا ·· ساخرة ·· هازئة تنطلق بلا حدود ·· وتعبث بلا رقيب ·

في ٢٢/٢/١٩٨١

[illegible]

[illegible]

مطـــاردة

فاجأنى فى البدء ·· حاولت أن اتجاهلـــه ··
أسرعت خطواتى ·· أسرع ابطأت ·· ابطأ ·· آثار
حنقى ·· ربما لا يقصدنى ، غيرت طريقى ·· دخلت
شارعا جانبيا خافت الاضواء ثم ظلام ·· اختفى لـم
اشأ أن انظر خلفى حتى لا يحس باهتماسى به ، لـــم
اطمئن تماما ·· خرجت للشارع الرئيسى فى الاضواء
صدق حدسى ، كان يتابعنى ·· خرج ورائى ··سرت
ناحية اليمين ، تبعنى ·· ناحية اليسار تبعنى ، ماذا
تريد منى آيها الاحمق لن تفيد من مطاردتى شيئا··
أنا لا احمل غير بطاقتى الشخصية ·· هـــويتى التى
أصبح بدونها عدما ، رفعت يدى لاتحسس وجـــود
البطاقة ·· وجدتها فعل نفس الشىء ·· غريب أنت
« ولو » سوف اتجاهلك تماما ·· ما دمت تتبعنى ··
فسوف اتعبك ·· اطلت السير ·· وطريقى طويـــل
اتخذت طرقا ملتوية بعيدا عن بيتى ·· اقصد حجرتى
تعبت من « اللف والدوران » ألم تشعرْ بالتعب ؟ ··
لم لا تواجهنى مباشرة ، ماذا تريد منى؟انهكنى السير·
« استوب » الا تسمع ، صفعة على وجهى ! ·· « أريد

انفعالا ·· صدقا أعد مرة ثانية » ·· وصفعة ثانية وثالثة ـ كما شاء ·· ألا تسمع صوت الصفعات تنهال على وجهى ؟ لا أصرخ ·· ولا استطيع ·· البطـــل لا يصرخ ·· المخرج لا تعجبه اللقطة يريد انفعالاأكثر وصفعة أقوى ·· أهوى بعدها على الارض يــذوب وجهى فى التراب ، ألفت التراب ·· أصبح شيئا منى يحمل لون احزانى وصمت آلامى ·· أعيد التمثيـل مرة وسرات ·· اقبض الجنيهات القليلة ، أعود سريعا لحجرتى ، احسبهم فوق المرة ألفا ·· المعادلة غــير متوازنة ·· أدخل حجرتى اذ تفاجئنى صاحبة البيت « الايجار ، ثلاثة اشهر متأخرة » وبائع الفول ، و ·· ·· و ·· ، ولا يبقى معى غير قروش قليلة ·· اضطر أن اكملها من صاحبة البيت ·· العجوز الطيبــة ·· لاحمل هديتى لك ·· ادق الباب ·· أرى ظلا مـــن تحت الباب « آلا زلت تتبعنى ؟ قلت لك لا املك شيئا ماذا تريد منى ؟ ·· »

الصمت يكاد يقتلنى ·· هل انفجر ؟ ·· هــل اصرخ فيك ؟ ·· هل تحسبنى لا أستطيع ؟ ··الصمت « كابوس » رهيب ، الصفعات تنهال ، والمخرج يريد صفعات أقوى ، وهديتى احملها لك يا « ناديــة »

نظرتك تجعلنى شاعرا ، خطيبا بارعا اصوغ الكلمات اتحرر من اسار صمتى ٠٠ بسمتك تضىء ظلمـــات قلبى ، تنفض التراب عن وجهى ، اجدنى شجاعـــا اتحدث ، تقف الكلمات فى حلقى ٠٠ لا استطيـــع أن اتحدث « يانادية » ٠٠ صوت والدك يخرسنى ٠٠ هل تحسبيننى اخاف من ابيك انا لا اخاف منه ٠٠اتحدث؟ ماذا اقول ؟ ٠٠ تهرب منى الكلمات٠٠تخوننى بلاغتى المزعومة ٠٠ والدك هزمنى بأسئلته المعجزة ــ لغـــز ابى الهول ٠٠٠ ، الذى لا اجد له حلا «الشقة والشبكة وال ٠٠ » وماذا اقول ؟ لو املك كل العالم لقدمته لك « يانادية » ــ لكن من أين لى هذا ؟ والدك لا يفهم ٠٠ اتحمل كلماته ٠٠ تخرسنى اسئلته ، تميتنى ، تحيينى نظراتك ، العميقة ، تميتنى نظرات المخرج٠٠الارض التراب ٠٠ هل عرفت معنى أن يوضـــع وجهـــك فى التراب بدلا من البطل ؟ ٠٠ الجميع يصفقون « رائع» انهض من التراب ٠٠انفضه عن وجهى ممتزجا بعرق يهنئون بعضهم ٠٠ بعد ان يقترب البطل ليقبـــــل البطلة ٠

المشهد الاخير المعتاد ٠٠ النهاية ٠٠ دائما بديـــل للبطل فى الضرب فقط ٠٠ وهو يأتى ليضع قبلـــــة

النهايــــة .

هل فهمت ؟ اتحسبنى لا أستطيع مواجهتك ؟ ..
لا . لن اظل فى صمتى ، اليوم فعلتها .. نعم فعلتها
صرخت فى المخرج .. رفضت ان اضـــع وجهى فى
التراب بدلا من البطل .. ألا يوجد غير هذا المشهد ؟

طردنى ، لا يهم .. عدت بطلا .. بلا عمل لكن
بطل ـ هل تصر أن تتبعنى ؟ اذن سوف اقتلك ، لا يهم
ان اكون قاتلا المهم أن اتحرر من خوفى .. من صمتى
فلتتبعنى الى حجرتى اذن .. ادخل حجرتى .. يدخل
ورائى .. ألا تصدق اننى فعلتها اليوم ؟ .. ذهبت
الى « نادية » لاكون البطل .. لكنى صرخت فى والدها
نعـم لم التزم الصمت .. فقـــــدت « ناديــــة »
لكنى عـدت بطلا ، اليـــــوم وجـــد أبـــوها من
يجيب على أسئلته المعجزة ، وجد ـ أوديب الذى حـل
لغز أبى الهول ـ أوديب العصرى الذى يملك الدولارات
البترولية ، تقدم لها .. وافق ابوها عندما وجد عنده

اجابات كل اسئلته ، صرخت فيه ـ نعم خرجت عـــن
صمتى ..

والآن سوف اخرج عن صمتى ، سـوف اقتلك ، بسرعة تمتد يدى للسكين الموجودة أمامى فى الحجرة، عليها أتربة ٠٠ لا يهم ، ارفعها بسرعة ٠٠ استدير للخلف سريعا اضربه بالسكين ٠٠ لا اجده : لا اجد احدا اماسى ٠٠ لا تختبىء خلفى أيها الجبان ٠٠ لماذا لا تواجهنى اذن ؟ ٠٠ ها أنذا احسك ورائى ٠٠ ظلك يكشفك ٠٠ ظلك على الارض يتبعنى ٠٠ فى يـده سكين مثلى ، لابد ان اسرع فى قتله قبل أن يقتلنى ٠٠ استدير سريعا ، ارتمى على الارض فوقه ، اطعنه عدة طعنات ٠٠ اصرخ ٠٠ لا يسمعنى أحد ٠٠ ماذا آرى؟!

اسرعت صاحبة البيت ، فتحت الباب ٠٠ وجدتنى مرميا ، فوق التراب ، اطعن ظلى المرتسم على الارض٠

فى ١٩٨٢/٥/٨

دمعــة ايزيس

« هذا وجهك يهمس فى طرقاتى
يخلع أثواب الفقد ‥ يلملمنى
يذبح عنقاء الظلمة ‥ ويطهرنى ‥
اسكن عينيك ‥ فقولى للخوف وداعا »

أحمد سويلم (ايزيس)

فى عينيها تتجسد احزان ايزيس ‥ أفراح ايزيس وتتجسد دمعات ايزيس ‥

. . . .

(وكان نذرا ياسيدة أن آتى اليك) خطوات سريعة بجوار النهر ‥ ويداها تحضن جزءا منها ‥ أمواج النهر تتعالى (اخاف عليك التية فى المدينة الكبيرة) سعادة تغمرها بالسير جوار النهر ‥ (اخاف عليك الضياع فى المدينة الكبيرة) تزداد سرعة خطواتها ‥ (اخاف عليك) « وكان نذيرا ياسيدةأن آتى اليك » ‥

« صرخ أحد المارة (مجنونة تخنق طفلة) ‥اجتمع المارة حولها ‥ زاد صخبهم ‥ تقلصت يداها ‥

كانتا ترتعشان ٠٠ شفتاها تنطق أشياء غير مفهومة وضغطها على الطفلة يزداد ٠٠ والمارة المجتمعون حولها ينهالون عليها ضربا ٠٠ حتى سقطت وانقذنا الطفلة ٠٠ حملت الطفلة بين يدى ٠٠ اسلمتها للشرطى٠٠وكانت تلك المجنونة ترقبنا بتعجب دونما كلمة غير أشياء غير مفهومة تتمتم بها شفتاها ٠٠ المهم انقذنا الطفلة من بين يديها » ٠٠ انهى حديثه مع ضابط الشرطة عندما سأله فى التحقيق عن الحادث

. . . .

فى عينيها تتجسد أحزان ايزيس ٠٠ افراح ايزيس٠ وتتجسد دمعات ايزيس

. . . .

« الشرطة تقبض على أكبر مجرمة تخطف الاطفال» «الهدوء يعود للمدينة بعد القبض على المجرمة الخطيرة» «مكافأة للشرطى الذى قبض على المجرمة » ٠٠ « وللمواطن الذى أنقذ الطفلة » وقد اعترفت المجرمة الخطرة بأنها لم تكن تنوى قتل الطفلة وانما كانت ستحتجزها حتى تأخذ مكافأة كبيرة من أهلها ٠٠ وبعد مواجهة المحقق لها بجرائمها أنهارت واعترفت لكنها تطلب السماح ٠٠ وتعزم على التوبة »٠٠هكذا استمر الصحفى الشاب متابعة الحادث باهتمام ٠٠ لعدة أيام

ويؤكد للقراء بأن الهدوء قد عاد للمدينة ٠

فى عينيها تتجسد احزان ايزيس ٠٠ أفراح ايزيس وتتجسد دمعات ايزيس ٠٠

(وكان نذرا ياسيدة أن آتى اليك) كانت تلتــزم الصمت (آخاف عليك التيه فى المدينة الكبيرة)

رفضت الاعتراف ضربوها ٠٠ رفضت الادلاء بأية كلمة ضربوها ٠٠ رفضت الطعام ضربوها ٠٠ ثــم ماتت ٠٠ نشرت الصحف صورة الطفلة حتى تتعــرف عليها آسرتها ٠٠ وظلت فى احدى الجمعيات الخيريــة للايتام ٠٠ وانتهى حديث هذه المجرمة لتبدأ أحاديث غيرها فى المدينة الكبيرة ٠

فى عينيها تتجسد احزان ايزيس ٠٠ أفراح ايزيس وتتجسد دمعات ايزيس ٠٠

(ولما كنت صغيرا لم اعرف كلمة أمى) ٠٠ كــان كهلا وعجوزا ٠٠ وضعت فى يديه السلاسل ٠٠

ولم يتصور شيئا من هذا ٠٠ يتساءل ولا أحــد يجيب ٠٠ وأمام الضابط وقف حائرا ٠٠ يسأله عــن اسمه (ولما كنت صغيرا لم أعرف كلمـــة أمى) ٠٠ يدعه يقف بجانبه ٠٠وأهل القرية يستدعيهم الضابط

واحدا بعد الآخر .. ويسأله عن زوجه ويجيبون .. ويلتقطون له عدة صور وهو (لما كنت صغيرا لم أعرف كلمة أمى) لا يفهم شيئا .. كان فى الحقــل يــروى الارض الخضراء بمياه النهر .. ويستريح بجـــوار النهر .. ويحلم بجوار النهر .. ويشرب من مــــاء النهر (ولما كنت صغيرا لم أعرف كلمة أمى) فجـأة أخذوه .. وضعوا السلاسل فى يديه وهو لا يعــرف سببا لذلك ..

ــ ماذا تعرف عنها ؟ ..

ــ امرأة ساذجة .. لا تعرف غير زيارات الأولياء ثم الغناء بجوار النهر !

ــ امرأة حمقاء لا تفهم شيئا تدعي الطيبة بزيارتها للاولياء .. وحضور الاذكار ..

ــ تهذى بكلمات بلهاء بجوار النهر ..

ــ أخذت منى خمسة جنيهات ووعدتنى بردهم بعد عودتها .

ــ (مجنونة ــ طيبة ــ حمقــاء ــ بل متصــوفة)

ــ لا بلهاء ــ لا ــ لا ..

(ولما كنت صغيرا لم أعرف كلمة أمى) ·· ركب قطارا ومعه شرطى ·· وهو لا يفهم شيئا ·· غير أنه رأى صورتها فى جريدة عرضوها عليه وسألوه تعرف هذه أجاب (أخاف عليك الضياع فى المدينة الكبيرة) « نعم انها زوجتى » كان ينظر للنهر وأمواج النهر··صورا تتجمع وتتفرق فوق صفحة المياه ·· والشرطى يضع السلاسل فى يديه دون أن يعرف سببا ·· ويضربه دون أن يعرف سببا ·· (ولما كنت صغيرا لم أعرف كلمة أمى) ··

....

فى عينيها تتجسد احزان ايزيس ·· أفراح ايزيس وتتجسد دمعات ايزيس ··

....

عندما وصل الى المدينة الكبيرة··استقبله الصحفى الشاب ·· صحبه الى مكتب كبير ·· امرهم بتحريره من السلاسل فحرروه··وبأن يقدموا له شرابا ففعلوا وسأله « ماذا يريحك ! » قال (أخاف عليك التيه فى المدينة الكبيرة)··« يريحنى أن أعرف لماذا جئتم بى هنا » ·· أجاب الضابط ·· « زوجتك ماتت » ·· « وأين ابنتى ؟ »

فى عينيها تتجسد احزان ايزيس ٠٠ أفراح ايزيس وتتجسد دمعات ايزيس ٠٠

أصـــل الحكاية : ـ

نفيسة محمدين عبد الله ٠٠ تزوجتها منذ عشرين عاما ٠٠ طيبة ٠٠ ولا تعـــرف غير زيارات الاوليـــاء والشيوخ ٠٠ والجلوس بجوار النهر ٠٠ (ولما كنت صغيرا لم اعرف كلمة آمى) اذ ماتت لحظة جئت للدنيا ٠٠ وتمنيت آن اسمع هذه الكمة من آبنتى ٠٠ ولما كانت زوجتى عقيما ٠٠ نذرت نذرا للسيدة زينت وعنـــدما جاءت ابنتنا ايزيس ٠٠ أرادت أن تأتى القاهــــرة للسيدة وقلت لها (أخاف عليك الضياع فى المدينـــة الكبيرة) لكن جاءت ومعها ابنتى ٠٠ ولما كانت مريضة بالصرع فكنت آجيب كل ما تريد حتى لا تعود لهـــا هذه النوبة ٠٠ وعندما تنتابها هذه النوبة تشعر بها قبلها فتحاول تجنب الخطر وتضع ما معها جانبا ٠

فى عينيها تتجسد احزان ايزيس ٠٠ أفراح ايزيس وتتجسد دمعات ايزيس ٠٠

ـ « ماذا تريد ؟ »

ـ أن احمل جسد زوجتي ·· واعود بابنتي » ··
في طريق العودة ·· كان الجسد بجواره في صندوق
خشبي ·· (والصندوق الذى أعد لاوزيريس كان
مرصعا بالماس) هكذا يقص لهم شاعر الربابة في
القرية وينظر للنهر ·· تتعالى أمواج النهر (وتركب
ايزيس النهر للبحث عن جسد اوزيريس) ··وعندما
يصل يوارى الجسد بجوار النهر ·· يحتضن ابنته ··
يجلس بجوار النهر ·· تتجمع صور شتى ·

ابنته تكبر تجرى تردد (أمى ·· أسى) تحكي لها
قصص النهر (وكانت ايزيس تحكي لحورس ما كان
وما ينبغي أن يكون) يعود بناظريه ·· يجد ابنته
في أحضانه ·· ابنته تصرخ ·· تبكي ·· ينهار
للمرة الاولى يبكي ، في النهر تذوب دمعاته ··الصورة
المرسومة في النهر ·· تتشكل من جديد ·· صورة
واحدة ·· باهتة ·· تتجمع · تكبر · تتضح صورة
واحدة تملأ النهر ·· يراها في الارض الخضراء ··
في السماء ·· على وجه النهر يحتضن ابنته ليشعر
بالامان ·· كانت صورتها هي ·· تمتزج دمعاته
بدمعات ابنته بماء النهر ·· وينظر في عيني صغيرته

(فى عينيها تتجسد أحزان ايزيس ٠٠ أفراح أيزيس
وتتجسد دمعات ايزيس) ٠

١٩٨١/٦/٧

شجـرة الصبـــار

وفى البدء كانت الكلمة •• والكلمة كانت امراة

« ارملة » هذا قدرى •• منذ بدء البدء •• منـذ أحزان الأزمنة الأولى حيث اعتدت أن اقبل زهـــور الصبار •• اسقيها بمدامعى •• اهمس لها •• فبيننا لغة مشتركة ••

قال لى : « أحبك » •• قال : « أنت زهرة حياتى وايزيس ايامى » « لمى اشتاتى » لكن قلبى قـــد نضب •• وربما جفت مدامعى •• فعدت •• اتأمـل أوراق الصبار •• كنت صغيرة ••

وكانت أمى تقلننى فنـــــون النســـوة العجائـــز وحـــكمهن اللاتى •• استمدتهـــا من تجاربهن •• كنت صغيرة وكانت تهمس فى أذنى أمى « المرأة ليس لها غير الرجـل •• المـراة خلقت لزوجها •• والعار كل العار لمن تفشل فى حياتهـــا الزوجيـة » كانت أمى تلقننى تمائمهـــا فى أذنى « الرجل هو السيد » •• عرفت فى المدرسة أشـــياء كثيرة •• خبرت عالما جديدا •• اسعدنى أن اقـــرأ

وحدى ٠٠ الكتب والجرائد خاصة التى كان يحملها أبى معه كل يوم من المدينة ليقرأها ٠٠ كانت بالنسبة لأمى طلاسم لا جدوى منها خاصة بالنسبة للمرأة ٠٠ كا نأبى يقص لنا عن المدينة الكبيرة ، كانت عالما عجيبا بالنسبة لنا ٠٠ أما أمى فقد اكتفت بحكايا والدى وذكرياتها عن المرة الوحيدة التى زارت فيها المدينة عندما اوشكت على الموت وذهبت كما تقول « لحكيم البندر »لكنى لم اقنع بحكايات أبى ٠٠ كنت أحلم بأشياء كثيرة ٠٠ وكنت اقص احلامى لرفيقة أيامى شجرة الصبار ٠٠ لم يتح لى أبى الفرصة للدراسة لكنى كنت ابذل قصارى جهدى لأكون متفوقة لكن هذا لم يشفع عند والدتى لى٠٠فما زالت تمائمها تتردد فى آذانى ٠٠ « المرأة لزوجها » لم اغضبها قط حاولت التوفيق بين دراستى وبين الاعمال المنزلية التى كانت تصر أن ـ اتقنها واتفرغ لها ٠

كبرت وليتنى لم اكبر ٠٠ دخلت عالما جديدا ٠٠ وليتنى لم اعرفه قط ٠٠ كنت صغيرة لكن ! قال لى : « أحبك أنت ولك ان تختارى ٠٠ هذه حياتك فاختارى ما تشائين » ٠٠ كنت حائرة وربما استيقظ قلبى

النائم لحظتها ٠٠ وربما بدا لى ان أودع صبارتى كما حدث منذ سنين عدة ٠٠

قال لى : « آنت ايزيس ايامى » ٠

كبرت ٠٠ وكانت احلامى ان اواصل دراستى ٠٠ آن التحق بالمدرسة الثانوية واذهب للمدينة ثم التحق بالجامعة ٠٠ آمال كبيرة ٠٠ لم لا احققها ؟ ٠٠ كبرت وحدث ما حدث ٠٠

قالت الام : « البنت كبرت » ٠٠ قال لها والدى : « تريد ان تكمل تعليمها » غضبت الأم صرخت فيـــه « المراة ليس لها غير زوجها ٠٠ هى ليست آصغر ولا أقل من بنت ٠٠ وبنت ٠٠ وبنت » ٠٠ يومها عددت له بنات الجيران ٠٠ وتحت الحاحها ٠٠ تم الاتفاق ٠٠ ولم يكن لى رأى كنت استعد لامتحان الاعـدادية ٠٠ لكن قرارهم كان صارما ٠٠ لا رجعة فيه ولا رأى لى قالوا : « مبروك ابن خالك تقـدم لخطبتك ٠٠ وفى الغد سوف نحدد ميعاد الزفاف ! »

قال لى : « أحبك » ٠٠ قلت « مضى قطار العمر » قالها فى تحد : « من حقنا أن نحيا أيامنا الباقية ٠٠

اؤكد لك أننا سوف نعوض ايامنا الحزينة ٠٠ لابـــد وأن يقف القدر لحظة من أجلنا فاناأحبك » ٠٠

وصرخت والدتى ٠٠ صعقت عنـــدما قلت لها : « لا احبه ٠٠ ابن خالى لكن لا أحبه » ٠٠ اليوم يدعون لى الفرصة لكى اختار ٠٠ ولماذا الان فقط ! لماذا لم يدعوها لى منذ البدء ؟ ٠٠ يومها كنت احتاج لحريـــة الاختيار لكن كنت فى نظرهم « صغيرة لا تعـــــرف مستقبلها ٠٠ والمراة ليس لها غـــير رجـــل يحميهـــا » سامحك الله والدتى ٠

لم يكن أمامى بد من الطاعة ٠٠ وساقنى الى بيتـــه وعندما وصلنا قلت لنفسى ٠٠ ربما يعوضنى عـــن وصايه امى التى فرضتها على منذ عرفت الحيـــاة ٠٠ ربما اجد معه السعادة ٠٠ والحنان ، بدا عطـــوفا لكنه فى الليلة الأولى صفعنى على وجهى دونما ســبب عندما بكيت ٠٠ جاءت والدته ٠٠ ظننتها ســـوف تنصرنى عليه ، وما فعلت ٠٠ فقط همست ، فى أذنى « طاعة زوجك أهم شىء » قلت لها « ضربنى دونمـــا سبب » قالت : « هذا رمز للطاعة » وعرفت يومها ماذا تعنى الطاعة ٠٠ عرفت حقيقة العلاقة بين الرجـــل

والمرأة ٠ الزوج والزوجة ٠٠« السيد و ٠ » أكتشفت الوهم الذى كان يثرثرن به صديقاتى فى المدرسة ، كن يقلن أن الزواج سعادة ٠٠ لم اكن أدرى هل انـا زوجته فقط ام زوجة لأسرته كلها : والده ٠٠ والدته اخواته ٠ اخوته ٠ كان أكبر اخوته وكان الجميع يأمرون ٠ وكنت فقط أنفذ أوامرهم ٠٠ حتى لا اغضب زوجى كان يعمل مدرسا بمدرسة ابتدائية فى قرية مجاورة لنا ٠٠ كنت احتمل كل شىء وعندما يعود ٠٠ لابـــد وان ابتسم انسى او اتناسى كل شىء من أجل راحتـه هكذا اوصتنى والدتى ٠

قال لى : « أحبـك ولك أن تختـارى » ٠٠ فقبلت زهور الصبار ٠٠ وأنا حائرة ٠

سرعان ما جاءت « أمل » ابنتنا الصغيرة ٠٠ كانت تأكيدا لارتباطنا وتوثيقا له ٠٠ أحببته كما يجب أن تحب زوجة زوجها ، أو ربما خيل لى هذا ٠٠ فلم أكن اعرف فرقا بين الحب ــ والكراهية وهل كان عنـــدى وقت لذلك ؟ أو حتى فرصة للتعبير عن المشاعـــــر والاختيار ؟ الآن فقط أمامى فرصة الاختيار ٠٠

ذهب لأداء الخدمة العسكرية قبل هزيمة السابـع

والستين الحزين ·· ربما شارك فيما حدث لنا فى تلك
الحرب المشئومة ·· وطـال انتظـارنا له ·· كان
يشارك فى حرب الاستنزاف ، وكنت أستنزف فيمـا
بقى منى ·· مرت الشهور طويلة ·· والسنـون
سئيمة وكبرت ابنتنا · كل يوم يتم فيه تبادل اسرى
انتظر عودته ·· ولا يعود ·· بعد ثـلاث سـنوات ،
انتظار ·· اخبرنا بانه فقد ! ايقنت أنه رحل بـلا
عودة ·· ضممت ابنتنا الى صدرى وقلبى جميعـا
اقسمت ان اظل لها طوال العمر ··مرت سنوات كبرت
ابنتنا ·· طلبت منى الاسرة أن اتزوج من أخيـه
رفضت حفاظا على ذكراه وعلى ابنتى ، طردونى مـن
البيت ·· عدت الى بيت أبى رجـوتهم أن يتـركوا لى
« آمل » جاءت الى ·· كنت اقص لها عن « الشاطـر
حسن » وعن انتظار « ست الحسن » له ·· كانت هى
كل فرحى ·· لكن لم يدم فرحى طويلا ·· اذ ، رحلت،
ابنتى··وتركتنى فى حجرتى احتضن شجرة الصبار!
قلت له : « مضى قطار العمر » وبدت شجرة الصبـار
لعينى وحيدة ·· حزينة ·· ربما كل منا فقـد شيئا
ما ! ظللت فى بيت والدى ·· فعدت لكتبى ·· اقرأ
اقرأ ·· اعيش معها جل وقتى ·· فى تلك الاثنـاء

اشتد المرض بوالدى ٠٠ أزمات قلبيه تنتابه حـــين يجهده العمل ٠٠ وحين تشتد عليه كوارث الدنيا ٠٠ فى تلك اللحظات يصبح ما بين الحياة والموت ٠٠ لحظة ما بين البداية والنهاية قد تساوى العمـــر كلـــه ٠٠ لا أملك له غير دموعى ٠٠ وغير دعوات والدتى وصمت شجرة الصبار وحين يفيق بعد سيل من الابر والأدوية أعود لكتبى ٠٠ اقرأ ربما انسى ما مضى لكن ازمـــات القلب ٠٠ ولحظة ما بين الموت والحيـــاة تفزعنى ٠٠ فتسلب منى متعتى ومهربى ٠٠

« هل تقاس العواطف بالسنين ٠٠ ؟ » سألنى هـــذا السؤال بعد ما نضب قلبى وجفت مدامعى والفتحياتى والفتنى شجرة الصبار ٠٠

كان صديقا قديما للاسرة ٠٠ وكان عائدا مـــن الدول البترولية ٠٠ وكثرت زياراته لنا ، كان يقص لنا عن معاناته طوال سنين عشر فى الخارج ٠٠ وعـــن زوجته وابنه اللذين تركهما لاستحالة التفاهم بينهم٠ كان مصرا على الزواج ليبدأ حيـــاة جديـــدة وذهبت محاولاتنا عبثا لاقناعه بالعدول عن فكرته هذى ٠٠ تحدث معى طويلا ٠٠ كنت استريح معه ٠٠ ولم أرفض

هداياه واخيرا طلب الزوج منى ٠٠ قال « أحبك » ٠٠

قال : « انت زهرة حياتى وايزيس آيامى » ٠٠
قال : « لمى اشتاتى » كنت حائرة وخائفة ، ربما جاء في خريف العمر ٠٠ لكن هل حقا نضب قلبى ؟ ٠٠ هل ماتت عواطفى ؟ ٠٠ كنت بالفعل خائفة ومترددة ٠٠ لكنى انجرفت نحوه بكل عواطفى ٠٠ ربما عدت سنين الى الوراء ٠٠ ربما كان قلبى بكرا ٠٠ اذ لم اعـرف الحب ٠٠ من قبل !

قلت له : « مضى قطار العمر » ٠٠ وفى داخلى كنت استريح له ٠٠ واتمنى بقاءه والارتباط به لكن الخوف الرابض فى اعماقى كان يشدنى بعيدا عنه ٠٠ لمـاذا أقبل الزواج بعد هذا العمر ؟ ٠٠ لقد رفضت قبلـــه كثيرين ، قانعة بحياتى هذى ٠٠ لقـــد اكتشفت أن عواطفى لم تمت بعد وأن قلبى قادر على العطاء ٠٠
قال لى : « أحبك انت ولك ان تختارى بين ان تقبـــلى زواجى او ارحل كما كنت ٠٠ هذه حياتك فاختارى ما تشائين » ٠٠

كنت خائرة وخائفة ٠٠ لكن رأيت فيـــه زوجى الراحل ٠٠ رأيت فيه «أمل» ابنتى ورأيت فيه حريتى

وتعليمى الذى حرمته ·· رأيت فى عينيه الحانيتين ·· صورة للمستقبل مشرقة ·· كان ربيــع العمـر ·· فصارحته ·· بكل مشاعرى ·· قتلت الخوف الرابض فى اعماقى سنينا منذ يونيو الحزين ·· قلت له متهللة فرحه : « يسعدنى ان اقبل الزواج منك فأنا احبك ! »

وبعد اسبوع جاء لزيارتنا أحد اقربائه ·· كان يحمل آخر هدية لى « دبلة الخطوبة » ترك لى الدبلتين واعتذر بأنه سافر الى نفس البلد النفطية ·· ســـأله والدى هل ينوى العودة لزوجته وابنة اجاب « انه لا ينوى العودة لاحد على الاطلاق » ·· سأله والدى ·· « لماذا يعبث بنا ويعد ابنتنا بالزواج ؟ » ·· خـــرج الرجل ·· عند الباب كان يردد فى صـــوت هــازىء « هل هو مجنون ليتزوج آرملة ؟ » ··

بكت امى وقالت « حظك منحوس » ·· آصيب والدى بالنوبة القلبية ، جريت نحوه ولاحت لى شجرة الصبار الحانية على طوال السنين ··

فى ١٩٨١/١١/٢٠

ثلاثة مقاطع للموت

١ ـ القطـــار : ـ

عندما كنت صغيرا وكان بيتنا القديم بجوار المحطة قالت لى الجدة « والدك ركب فى القطار » ـ كل مساء كانوا ينتظرون عودته ٠٠ وكنت اتخيل اللعب والحلوى التى وعدنى بها ٠٠

لا املك غير ان انقادلهذه الفكرة التى تلح على الان ٠٠ ؟ وحتى لا تضيع منى بهجة النهاية ٠٠ حملت أدواتى، وسرت فى طريق المحطة ، كان الزحام يحـــول بينى وغايتى ٠٠ لكن كنت احمل آدواتى ، والجميع ينتظرون الغائب البعيد ؟ القادم فى القطار ٠٠ وربما ينتظرون دورهم للرحيل ٠٠ كل شىء كما تقول جدتى « مقدر ومكتوب » ٠٠

اخيرا وجدت مكانا ملائما ٠٠ « أقمت الحامـــامل » وفردت اللوحة فوقه ٠٠ امسكت الريشة وكنت ارقب الجمع ٠٠ كيف أضع اللمسة الاولى ؟ إمتدت يدى الى الى اللون الابيض ـ لابد أن ابدا به ٠٠ اقتربت مـــن اللوحة البيضاء الخالية ، صوت القطار يتعـــالى ٠٠ وتتعالى أصوات الجموع المترقبة ٠٠ كل فى دوره ٠٠

وان بدا تداخل الاشياء ببعضها ٠٠ جميعهم يقتربون من القطار ، فرادى ٠٠ وان بدوا فى مجموعات ٠٠ ركزت ناظرى لالتقط المناظر الجانبية المشاهد المتفرقة التى سوف تكون جزئيات لوحتى ؟ جـاء القطـار ٠٠ تعالى صفيره ٠٠ تعالت أصوات الجموع ٠٠ اختلطت تداخلت ٠٠ امتزجت ، كلمات وداع ٠٠ وعود انتظار دمعات فراق؟ رحيل الحبيب ٠٠ الوالد ٠٠ الابـــن الصغير ٠٠ حتى الجدة العجوز قد تسافر يوما ما ٠٠ باكية قالت الام لابنائها « على عينى أن نفترق الان ٠ لكن لابد » قال لحبيبته « سوف أكتب الك كل يـــوم خطابا » ٠٠

فرصة رائعة لابدا فى جزئيات اللوحـة ٠٠ كنت ارقب المناظر الجانبية ، وكانت يدى ترسم بالفرشاه خطوط اللوحة ٠٠ وتذكرت اللعب والحلوى ٠٠ ربما يكون والدى عائدا فى هذا القطار ٠٠ لم لا ؟ ٠٠

كانت جميلة وفاتنة ٠٠ دعته ٠٠ ولم يعترض ، قالت له « انت لى » ٠٠ لم يستطع مقاومتها ذهب هناك ركب القطار ٠٠ نسى كل شىء٠٠حتى الحلوى واللعب التى وعدنى بها ٠٠ كنا جميعا فى انتظار عودته لكنها كانت قد قالت له « آنت لى » ٠٠

يدى تسرع بالفرشاة ‥ لابد وأن اكمل اللوحة قبل ان يرحل القطار ثانية ‥ وربما تساءلت « لم لا يرفضون الرحيل ؟ » ‥

فى لقائنا الاخير قالت لى « انت لم تفهمن بعد ‥ ولم يفهمن احد قبلك » ‥احتويتها بعينى‥التزمت الصمت فى الم ‥ احبها لكن ‥ لن تعود الى الا اذا انهيت هذه اللوحة التى حدثتها عنها طويلا ‥

تساءلت « لماذا لا ادخل وسط جموع المنتظرين‥ ربما يكون هناك ثمة ما يدعوننى للانتظار مثلهم لكن والدى ‥ مضى عليه زمن ‥ الحلوى واللعب ؟ ‥ ما عدت بحاجة اليها اذن لماذا لا اركب بنفسى القطار؟ فكرة رائعة ‥ بداخل القطار لابد وأن احس بمشاعر مختلفة ‥ تمكننى من اكمال اللوحة ‥

بدأ القطار مسيره ‥ مواصلا طريقه ـ ونظرت للوحة ‥ راعنى ما فيها ‥ كلها باللون الاسود ‥ ما هذا ؟ ‥ حملتها سريعا ‥ جريت تجاه القطار‥ وقفت برهة ونظرت ‥ رأيتها فى نافذة القطار ‥ لم اتمكن من تحديد ملامحها كاملة ‥ غير أنها بدت جميلة فاتنة ‥ جذبتنى اليها ‥ اكملت سيرى ‥

هرولت وسط الجموع ·· سقطت منى اللوحـــة على الارض ، حملتها ثانية ، كان التراب قد غطى ألوانها جريت ·· وركبت كانت تنتظرنى !

فى البدء لم افهم شيئا ·· امسكت اللوحة محاولا أن اشرح لها ما فيها ·· راعنى ما رأيته لم يكن ثمـة شىء مما اردت ··وجدت ان كل مافعلته هو شكل حفرة كبيرة عميقة باللون الاسود تغطى بالتراب ·· عندما سقطت منى اللوحة على الارض ·· ذعرت لكنها سعدت بها كثيرا ، لم أجد فيها ما يمتع . كانت سعيدة باللوحة وكنت سعيدا بها ··

تراءت لى « اللعب والحلوى » التى كان على والـدى أن يحضرها ·· احسست بحاجتى اليها اكثر مـن أى وقت مضى ·· كانت جميلة وفاتنة ·· تلاشت مـع الحلوى واللعب رؤى حبيبتى ·· نظرت لها ثم لى كثيرا نسيت كل شىء وفهمت كل شىء ·· عندما قالت « أنت لى » وكان القطار يكمل مسيره ··

٢ ـ عـــودة : ـ

ها أنذا الآن أعود اليك ·· واراك منذ آلاف السنين

ترقبين عودتى ، لست فارسا كما تتوهمين •• ولست البطل المنتظر ، كل شىء قد تغير عدا أنت ، وربمـــا حبى ••

أعود اليك العاشق المنهزم •• بعـد أن ضعت فى الدروب ، وضاقت بى الدنا •• أعود اليك •• أحمل ـ ذى داخلى ـ هزيمتى وفشلى •• اعود من طرق الضياع ـ فى صمت لا أجد غيرك ملجأ •• لا احمل معى غـــير الحب ••

منذ آلاف السنين ترقبين عودتى ، صوتك ينادينى • لكن طرق الوهم أبعدتنى عنك عرفت الحب بعدك ألف مرة ـ ورفضت وهزمت •• لذا احمل الحب لك الان وحدك فهل تقبلين ؟ •• معذرة •• نضبت عواطفى ـ عدت بقلب أجوف عاجز صامت ، عدت اخرسا لا املك غير كلمات جوفاء عن الذكريات الحزينة ، مجردا من آدميتى أعادونى اليك •• وحدى تركونى •• نفضوا ايديهم من التراب •• بعد أن زينونى بلفاقات بيضاء تمتموا كلمات صامتة •• وانفض الموكب •• نعـــم انفض الموكب ، تمتموا كلمات صامتة ، زينـــونى بلفافات بيضاء ، نفضوا أيديهم من التراب •• هنا ••

سعك ·· أريد ان اشعر بالامان ·· ضميني اليك ··
اضغطي أضلاعي بين ذراعيـك ·· قبليني بعنف ··
حطمي جسدي هذا الموت الازلي ·· ضميني بعنفحتي
اشعر بالامان ·· أعيدي خلقي من جديد ·· انا الان
لا اصلح لشيء ·· فهل تقبلين عودتي ؟

حبيبتي ·· جئت اليك لاحطم انتظار السنين ··
قصي لي حكايات آلاف السنيناعيديني فارسك المغوار·

قصي حبيبتي ــ لي ــ ·· فأنا ما عدت اقتل كلفجر
عذراء ·· كما يفعلون الآن ··

٣ ــ شجرة السرو : ــ

ما معنى ان يمضى عام ·· وأن تطفأ الانــوار ؟
لماذا ينتهي العام بالظلام ؟ ترى ماذا يحدث في الظلام؟
رغم تساؤلاته الكثيرة الا أنه لم يفقد بهجة العيد ··
العيد سعادة ·· الحشد الكبير ·· الاقرباء والاصدقاء
والصغيرة نادية ابنة الجيران ·· وهدايا بابا « نويل»
الذي يحيره ، برغم عدم وجود أي علاقة بينهما ، يصر
بابا « نويل » كل عام أن يحمل له الهدأيا ·· ترى من

يكون « بابا نويل » ؟ ومن أين يأتى بكل هذه اللعب والهدايا ؟ ·· هل يمنحنا اللعب دون ثمن ؟

شجرة عيد الميلاد قد أعدت ولا ينقصها غير بعض الاوراق الملونة ·· خرج الصبى الصغير ليشترى بعض الاوراق الملونة اللازمة لشجرة عيد الميلاد ··

كان يهرول لابد وان ينتهى من اعداد كل شىء قبل أن يدلف المساء ·· عندما تأتى ·· الصغيرة نادية ·· لابد ان يكون كل شىء معدا ·· يشق طريقه فى الزحام وهو يحب الزحام ـ هذا الحشد الكبير من البشر ··

تساءل : لماذا يسرعون جميعا ؟ هل كل منهم يريد أن يشترى أوراقا ملونة لشجرة عيد الميلاد ؟

توقف المرور ·· وأضاء اللون الاحمر ·· توقف الجميع ·· المارة ومن فى العربات شعر بالضيق الشديد قد يضيع من وقته الكثير ·· شق طريقه بصعوبـــة محاولا أن يكمل المسير أوقفوه ، فتوقف ··

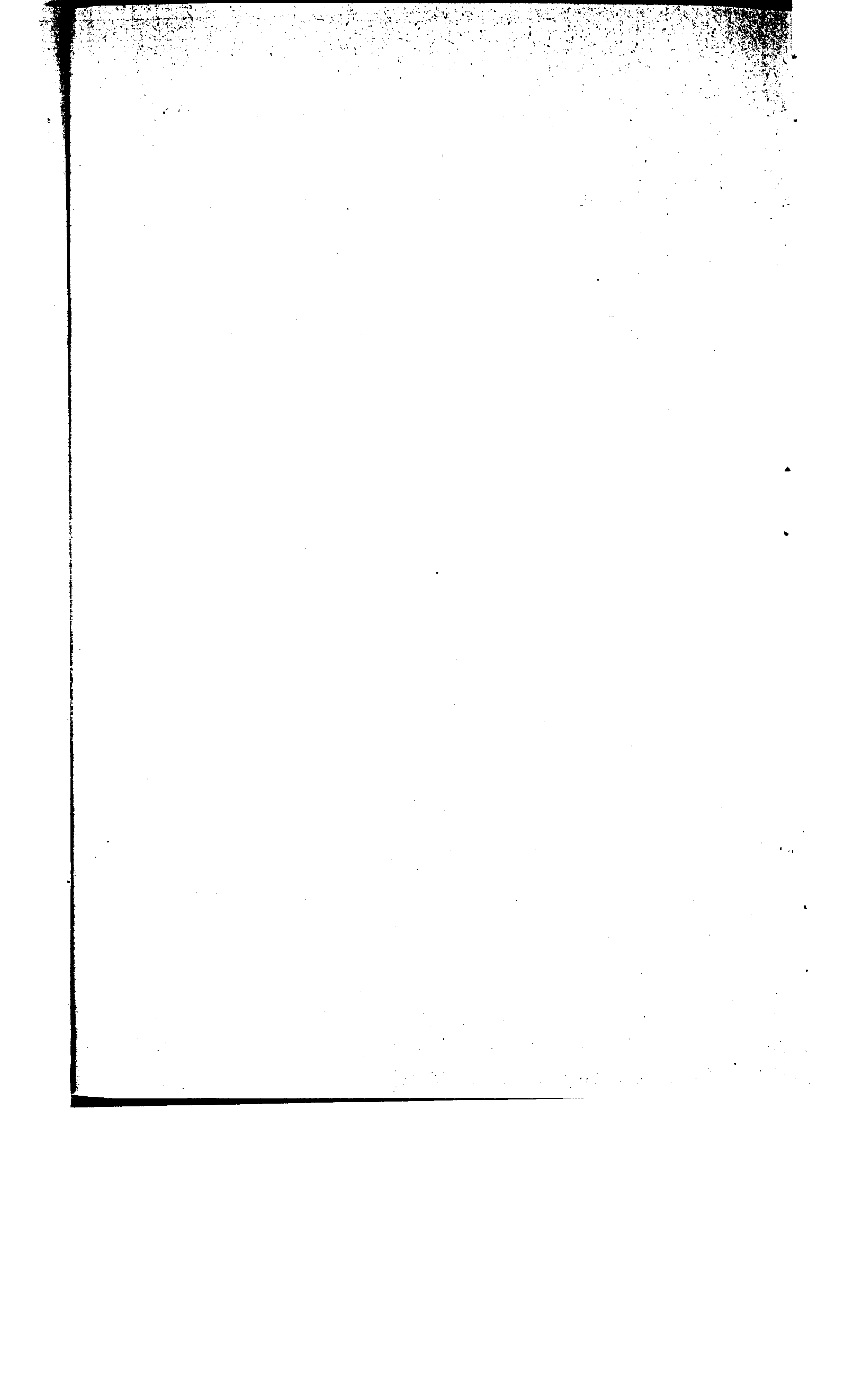
اصوات تعلو وتقترب ·· اصـــوات موســـيقى ، موسيقى جنائزية ·· اشر أب بعنقه ليرى وسط الزحام

عربة تحمل صندوقا ، وراءها الحشد الكبير ٠٠ ساد الصمت الا الموسيقى الجنائزية ٠٠ احس الصبى بضيق شديد ٠٠ وبخوف رهيب ، تراجع ٠٠ لجأ الى اقرب ـ الشوارع الجانبية الخالية ٠٠ التصق بالحائط ٠٠ صوت الموسيقى يتعالى ٠٠ خوفه يزداد ؟ نبض قلبه يعلو مع الموسيقى ، ولم يعد يسمع غير تلك النغمات تجمعت فى ذاكرته كل الكلمات والصور التى عرفها عن الموت ٠٠ صرخات ٠٠ دمعات ٠٠ واللون الاسود الحدادى ؟ ٠٠ تشبث بالحائط ٠٠ أكثر أصبح جزءا منه ٠٠ تذكر حائط منزله واللوحة السوداء ٠٠ المعلقة بأحد جدرانه ٠٠ ابتعد ـ فى ذعر ـ عن الحائط ٠٠ ضاع منه الامان مسرعا عاد للبيت ارتمى فى أحضان والدته ٠٠ انفجر بالبكاء ٠٠ ضمته الى صدرها وراح يبحث عن الامان ٠٠

عندما اقتربت الثانية عشرة مساء ، أطفئت الانوار ساد الظلام ٠٠ والصمت شعر بالخوف والوحدة ٠٠ وسط الحشد الكبير ، تباعدت نادية ـ اكتملت دقات الساعة ٠٠ أضيئت الانوار ٠٠ عزفت الموسيقى ببهجة تعالت الاصوات مغنية ٠٠ ضاحكة ومهنئة ٠٠

كانت شجرة عيد الميلاد ·· متلالئة ·· ومزدانـــــة بالهدايا ·· هدايا « بابا نؤيل » لم يسمع غير الموسيقى الجنائزية ·· ولم ير شجرة عيد الميلاد غير شجرة سرو بأوراقها السوداء ··

فى ٢٥/١٢/١٩٨١



« حكايه مدرس مستجد »

١ ـ الطريـــق : ـ

ى صمت .حمل اوراقى ٠٠ اتساءل عن الطريق٠
نتظر اعينهم الى متعجبة تتفحصنى ٠٠ أتساءل عـــن
وجهتى ٠٠ يتجاهلون اسئلتى الحيرى ٠٠ آخيرا دلنى
.حدهم على موقف العربات الذاهبة الى « الفقاعة »٠٠
رددت الاسم عدة مرات حتى اعتاد عليه ٠٠ ذهبت الى
هناك ٠٠ قالوا لى « اركب تيوتا » نطقتها تيوتـــا
ضحكوا على ، سخروا منى ٠٠ وجدت الركاب يركبون
فى مكان حمل البضائع ، اعترضت تركونى ركب غيرى
كثيرون ـ كان الوقت يمر سريعا ، لم أجد غير آن افعل
مثلهم صعدت ، لم أجد مكانا للجلوس ، وقفت ممسكا
عارضة العربة من الخلف ساق واحدة فى العـــربة
والاخرى فى الهواء ٠٠ تتبادل قدماى الخطوة الوحيدة
المتاحة لى وسط صخب الركاب وألفاظ السائق النابية
انطلقت العربة ، فى أرض زراعية غير مرصوفة تنهال
علينا الاتربة من جميع النواحى غطى التراب ملابسى،
شعرى ، أوراقى ، وجهى حتى عينى ٠٠ فقدت الرؤيا

والسائق يعلو ويهبط بنا ، والفلاحون يشيرون لنا ، يقذفنا بعضهم« بعيدان القصب ، وحبات الطماطم ، والكوسة » ، أشياء اعتادوا عليها يبادلهم الركاب التحية والتعليقات السريعة ـ منحدر صغير ثم تهبط فى لجة من المياه والطين ، ومعها قدمى ، ويتطاير الطين على٠ بعد ساعة وربع نصل ٠٠

أتساءل مرة اخرى عن « مدرسة النقاعة » يشرح بعضهم لى الطريق ، ليس ببعيد حوالى نصف ساعـــة على الحمـــار اتعجب ٠٠ يقترب منى صبى صـــغير يسألنى « أنت المدرس الجديد ؟ » ٠

ـ « نعم أنا لماذا ؟ » « أنا منتظرك منذ الصباح » « وس أرسلك ! » « المدرسة ، حضرة الناظر » شكرته طلبت منه آن يصحبنى الى المدرسة ، تركنى برهة ثـم عاد الى يجر وراءه « حمارا » قدمه لى « اركب هـــذا الحمار وسوف يصل باك الى المدرسة » أخذنى الذهول والتعجب ، تشربت المرائى حولى ٠٠ انسحقت ٠٠ لم أجب ٠٠ أضاف « لا تتعجب هو يعرف الطريق جيدا ، نوصل به الاساتذة يوميا » ٠٠ صرخت فيه « لا سوف أذهب سيرا على الاقدام ، قدنى الى المدرسة آو اتركنى»

حاول اقناعى رفضت بحزم ، رفض هو أيضا أن يركب
ضحك وقال « غدا سوف تعتاد هـذا ٠٠ كلهم كانـوا
مثلك فى البدء » ثم استمر يحادثنى عن المدرسـة
والمدرسين « تعرف يااستاذ انت سوف تدرس لفصلنا
انت المدرس الرابع الذى ياتى لنا هذا العام . كـل
مدرس جديد ياتى ، ثم يطلب نقله بعد أسبوع واحـد
لذا لم ندرس فى اللغة العربية شيئا للان ، الاساتذة
الموجودون قالوا نترك هذا الفصل للمدرس الجديد و٠»
واضاف اشياء كثيرة تعجبت انه يعرف هذه الاشـياء
عن اسرار المدرسة لكن ببساطة قال « ليست هنـاك
اسرار ، الناظر والاساتذة يقولون لنا كل شىء » كان
يثرثر وكنت اريد ان اعرف شيئا عن مجال العمـل
الذى سوف ابدا به حياتى بعد تخرجى من الجامعـة
ملىء بالحماس ، لدى كثير من الافكار « لا فائدة . هـذا
جيل لن يصلحه شىء : جيل رافض للتعليم ولكل شىء »
« ولو ٠٠ سوف ابذل ما وسعنى من جهد ٠٠ سوف اجعل
منهم شبابا ناجحا » ٠ « انهم لا يعرفون شيئا عن أى
شىء » « ـ سوف أبدأ معهم من جديد » « انهم لم يخلقوا
للتعليم » ـ « ليس ذنبهم » « لابد ان افعل شـيئا
ما مفيدا » ٠٠ قطع الصبى ذكرياتى والتحذيرات التى

سمعتها من أصدقائى قبل ان اجىء هنا ، قال « لـــو سمحت ·· خمس دقائق وسوف أعود ، لابد أن احضر شيئا للناظر » ولم ينتظر حتى ارد عليه ، ·· فقـــد انطلق يعدو فى شارع جانبى وترك لى حبل الحمار ·· تأخر كثيرا ولم يعد ·· سار الحمار فسرت وراءه !

٢ ــ الاستقبـــال : ــ

أمام المدرسة كان يجلس بجثته الضخمة فوق كرسى مستنـــدا على الحائط وامامه عربة يـــد خشبيـــة يبيع فوقها البطاطا ·· اشار عامل المدرسة من فـــوق كرسيه الى حجرة « الناظر » وهو يقدم لاحد الطلبـــة قطعة « بطاطا » ــ أحمل اوراقى ، أتشوق للعمل ·· احلم بالاشياء الجميلة ·· بالعطاء ·· استقبلنى ·· سحب ترابية تركلها اقدام الطلبة وهم يلعبون الكرة فى فناء ضيق تحيط به حجرات الدرس أما الطالبات فقد اجتمعن حول الملعب وأمام الفصول يشاهـــدن اللعب يهمسن لبعضهن بكلمات غير مسموعة ثم ينطلقن بضحكات عالية ·· لم تكن هناك غير حجرة واحـــدة للناظر وللاساتذة ، أمام الباب وقفت لادق بيـــدى مستأذنا بالدخول ·· فتح الباب دخلت ·· انسحقت

ذبت •• تبخرت •• تصاعدت لاعلى مع سحب التراب مع الضباب •• « سوف تصعق » – «لابد أن احاول »– « التجربة قاسية وصعبة » – « سوف احاول » تعالت أصوات الترحيب •• وتعالت الضحكات جذب أحدهم كرسيا كانت عليه بقايا كراسات الطلبة وقدمه لى •• سقطت الكراسات على الارض •• لم اتحرك « سوف تعتاد هذا » ! اغتصبت بصعوبة بالغة ابتسامة فاترة على شفتى رددت تحيتهم •• تساءلت لم يرد احد •• اكتشفت انى لم انطق شيئا كأنى فى كابوس •• تقطعت احبالى الصوتية صرخت •• لكن صوتى لم يخرج •• تحركت وجلست بعيدا عن مكتبهم الوحيد فى الحجرة •• قدمت لهم نفسى وقدموا لى أنفسهم كان مكتبهم يجمعهم بالناظر وأمامهم كميات كبيرة من « العيش والجبن والبيض والفجل والجرجير » . ثم دخل الطالب الذى كان يرافقنى يحمل معه سلة بها كمية «من الفول الاخضر »قدمه للناظر قائلا«لقد جمعته بنفسى انه أحسن مما احضرته بالامس » وكان أحد العمال يعد الشاى •• وانطلق احد الاساتذة يشرح لى « هذا هو افطارنا •• تصور اننا لم نفطر بعد •• اعتدنا أن نفطر سويا ، نترك الحصة الثالثة حيث نترك للطلبة

أمر تنظيم انفسهم ·· ونعود اليهم فى منتصف الحصة الرابعة » لم استطع التعليق بادر آخر ·· « لا تتعجب فالمفتشون لا يصلون هذا الا مرة فى العام ·· ونعرف قبلها بأسبوع وللاحتياط ·· نرسل أحد الطلبة يوميا الى « موقف العربات » « لاستطلاع الامر » علقت احدى المدرسات « سوف تستريح هنا تماما » ودعتنى لتناول الطعام معهم فرفضت صامتا ·· ضحكت اخرى قائلة « سوف تعتاد هذا ·· كلنا كنا مثلك فى البلد » ··

٣ ـ العمـــل : ـ

فى الفصل لم يصدمنى المستـــوى العلمى للطلبـــة ·· فقـــد كنت اتوقعـــه ·· كنت اشرح وكل منهم غارق فى بحار بعيدة عن الفصـــل والدرس ·· يثرثون · يتثاءبون أو يحملقون كالبلهاء عندما احذرهم ·· فى نهاية اليوم الاول جاءنى أحد الطلبة واحدى الطالبات معهم قائمة اعطوها لى ، هذه الاسماء التى تلتحق بالمجموعة تساءلت « أى مجموعة » أجابا المجموعة الدراسية فى مادة اللغة العربية مثـل باقى المواد « نظرت للعدد فى القائمة ثمانية وخمسون وهو نفس عدد الفصل رفضت ، حاولا اقناعى،انهيت الموضوع بحزم ·· وتركتهما ·· فى الاسبوع التالى

وكنت فى طريقى الى أحد الفصول لمحت طالبا يقف فى
هدوء يدخن سيجارة عندما اقتربت منه ·· نفث
الدخان فى وجهى ! تمالكت نفسى ·· دخلت الفصل
رمى بقية السيجارة وجلس مكانه ، ناديته وقف
« نعم ماذا تريد ؟ » ·· « تهذب فى ردك » ، لست فى
حاجة لدرس فى الاخلاق » صرخت فيه أن يخرج من
الفصل ولا يحضر لى طوال العام خرج بهدوء وردد
معلقا « أحسن ، فلست فى حاجة للحضور ·· نحن
لا نستفيد شيئا ·· ننجح بنقودنا »(اقترب منى استاذ
اللغة العربية ·· كان حديث التخرج ·· وكانت المرة
الاولى التى يدرس لنا فيها ·· عندما دخل الفصل
وقفنا تحية له كالعادة ·· ونظر الى فابتسمت له .
ابتسم لى واقترب،فازدادت ابتسامتى ·· حسبت انه
سمع عنى من الاساتذة ·· اذ كنت متفوقا فى اللغة
العربية خاصة ووقف أمامى ·· ابتسم اكثر وفاجأنى
بصفعة قوية على خدى الايسر ·· وتبعه بآخر على خدى
الايمن وطردنى ·· صرخت باكيا ·· لم اكن اذنبت
لكن بعد انتهاء الحصة ذهبت اليه خجلا ·· واعتذرت
قبل اعتذارى ·· لكن حذرنى من تكرار ذلك ، قال
« الضحك بدون سبب ، قلة أدب ») الآن الطالب كاد

يصفعني .. حاولت الا افقد اتزاني أو اتناسى مبادئى فأنا ارفض الضرب .. وقررت أن يفصل حتى يتعلم الاخلاق .. ذهبت للناظر ابلغته ذلك .. جعل يرجوني أن اتنازل واسامحه « لاننا غرباء هنا وهذه القرية بلدتهم » رفضت فأحال على الزملاء والزميلات .. وكانوا مثله ، انهيت المهزلة « اما أن يفصل او اقدم استقالتى » فى اليوم التالى جاء والده يصرخ فى مكتب الناظر مهددا متوعدا بأن يفتك بالمدرس الجديد الذى طرد ابنه لانه لم يأخذ درسا خصوصيا عنده ! ... قابلت هذا الوالد كان التفاهم معه مستحيلا .. وكانت صدمة كبرى ان الناظر لم يفصله واكتفيت بحرمانه من حصصى فقط ..

٤ ـ الطالبة الحسناء : ـ

فى يوم جاءتنى المكتب ، طلبت ان تتحدث الى حسبت أن هناك امرا خطيرا فدعوتها للحديث رجتنى أن نخرج من حجرة الاساتذة ففعلت ، كنت انفث غضبى وألمى مع دخان سيجارتى فى الهواء وقفت تسألنى « لماذا لا تتحدث معنا مثل باقى الاساتذة ؟ » ـ « ماذا تريدين ؟ » .

مدت يدها الى الزرار العلوى « للجاكت » الذى

تلبسه وفتحته ، ووضعت يدها فى جيبها فظهر جزء كبير من صدرها ، شعرت بتقزز شديد ، نظرت بعيدا عنها ، « ماذا تريدين ؟ » ·· قالت مبتسمة فى دلال· « السجائر تدخينها حـــرام اليس كذلك ؟ » قلت ·· « مكروه » قالت « ومادام تدخينها مكروها لم تدخن؟» سألت وهى تقترب منى وتعبث بخصلات شعرها قلت لها فى حزم « هذا آمر لا يهمك » ·· ضحكت بصوت عال ·· وقالت « بصراحة اذا لم تمتنع عن التدخـــين فسوف اخاصمك ! » انفجرت فيها صارخا موبخـا ، دهشت ·· احمر وجهها انفجرت فى البكاء وهى تجرى فوجئت بمجموعة من الطالبات يرقبننا وضحكـــن بصوت عال ·· عدت لحجرة الاساتذة فاستقبلتنى موجة من سخريات المدرسين والمدرسات ·· تركت الحجـرة وعدت فى هدوء الى سكنى ··

٥ ــ كابينة التليفون : ــ

كان آمرا شاقا آن اساقر من مدينتى الى « الفقاعة» يوميا ففضلت السكن فى نفس القـرية ·· صـحبنى بعض الزملاء القدامى الى سكنهم وسكنت معهم ·· كان السكن عبارة عن حجرة واحدة ضيقة ، خارجها صالة

صغيرة كانت فى البدء كابينة تليفون القـــرية ٠٠ وعندما بحث بعض الزملاء عن مسكن ٠٠ رفض أهل القرية السماح لهم بالسكن داخل البلدة فتفضـــل العمدة بنقل التليفون الى منزله وتأجير هذه الكابينة للمدرسين المغتربين ، فى الحجرة أربعـــة أسرة ، كل اثنين فوق بعضهما كأسرة السجون ، ثم بعض الاشياء الصغيرة وفى الصالة الخارجية مكتب صغير ومجموعة كراسى وهذه مخصصة للدروس الخصوصية ومشغولة طوال اليوم ليلا ونهارا حيث يتبادلون فيها التدريس للطلبة والطالبات ، واحيانا تعطى حصتان فى وقت واحد ٠٠ مجموعة على المكتب الوحيـد ٠٠ ومجموعة تجلس مع استاذهم على الارض ٠

يناقشوننى كثيرا فى مسألة الدروس الخصـوصية ورفضت ، تذمروا منى ظنا منهم أنى أتعالى عليهم ، فبدأوا يكيدون لى فى السكن والمدرسة لم تعجبـــن الموضوعات التى يتناقشون فيها ، وعلاقاتهم بالطالبأت وبالمدرسات بالمدرسة ، رأيت مرة احدهم ـ يتبـــادل القبلات مع طالبة يعطيها درسا خصوصيا٠٠ أثارتنى أكثر نزاعاتهم ومنافستهم من اجل طالبة ٠٠ لم اجد

موضوعا واحدا نشترك فيه سويا .. فاكتفيت بالانصات والصمت تجاه أحاديثهم ثم فض النزاعات بينهم من اجل الطالبة الحسناء ، وحجز المكان للدروس ثم آوى الى كتبى اقرأ ، لاجد مهربا .. وقد صدمت مرة حينما طلبت دفتر التحضير من أحد الزملاء القدامى لأعرف منه كيفية التحضير ، وفوجئت بأكثر من خمسة اخطاء نحوية وخطاين املائيين فى الصفحة التى قراتها ..

١ ـ تسالى : ـ

لم اكن ادرى أن « الفقاعة » هى مقبر آمالى وطموحاتى فاعتصرت آلامى فى صمت اذ سمعت من أصدقائى فى مدارس أخر عن اشياء لا تقل سوءا عما يحدث فى مدرستى ..

دعتنى فى يوم احدى الزميلات لالعب معها « كرة طائرة » اعتذرت ولكنها أصرت فوافقت اذ قالت لى ان الجميع هنا لا ينسجمون مع طريقتى ويتهمونني بالتكبر والتعالى بدأت اللعب كأداء واجب لكن سرعان ماجذبتنى بخفتها ولباقتها ، ووقفنا قالت .. « نستريح »

وفتحت حقيبتها اخرجت قطعة شيكولاته وقدمتهـا لى فشكرتها ومددت يدى رفضت واصرت أن تضعها فى فمى بيدها ، واقتربت منى ووضعت قطعة الشيكولاته فى دمى لكنى اكتشفت فى عينيها بريقا يجذبنى ٠٠ حملقت فيهما طويلا ٠٠ فوقفت دون حراك ثم ضحكت بصوت عال ودعتنى لنكمل اللعب ، بعد أن تخففت من « الجاكت » الـذى ـ كانت ترتـديه وفتحت الأزرار العلوية « للبلوزة » التى تلبسها وجعلت تقفز عـلى الكرة دون مبالاة « للجيب » الذى كان ينحسر عـن فخذيها مع كل قفزة ٠٠ وانتهى المشهد فعدت احمـل دفاترى لاعود للسكن حيث شعرت بالضيـق وبالذنب لما فعلته . احسست بأنى آخيرا بدأت « اعتاد مثلهم » خرجت ساخطا على نفسى وعلى تصرفى ووجدتهـا تسرع لتلحق بى وسارت بجوارى ٠٠ آحسست بمـا اعانيه ، اخرجتنى من صمتى « يبدوا أنك انسـان معقد » « لماذا ؟ » « لانك لا تستطيع أن تعيش لحظتك» « لقد اخطأنا فيما فعلناه اليوم ٠٠ نحن مدرسـون ، كيف نظهر امام الطلبة بهذا الشكل ؟ » قالت « الجميع هنا يفعلون أكثر من ذلك » « هذا لا يبـرر الخطـأ » سألتنى « ما الخطأ فى ذلك ؟ نحن نتسـلى » صعقتنى

عبارتها تلك ٠٠ أضافت « نحن جيل متعب ، منهك ، اما ان نفرج عن انفسنا او نموت » وضعت يدها فى يدى ، ضغطت عليها اكملت « يبدو اننـا ولدنـا فى الوقت الضائع من الزمن الخطأ ٠٠ فى البيت مشاكل هنا مشاكل ، مع أنفسنا مشاكل ، هل ننفجر ونموت؟» سألتها « نحن نشارك فى مسئولية ضياعنا ٠٠لكن انت ما الذى يدفعك لهـذا ؟ لم لا تتزوجى ؟ » « ضـحكت ساخرة ، اكملت سيرها ويدها فى يدى قالت « اما انك لا تفهم شيئا عن عالمنا ، أو أنك ساذج » تعجبت :«انت جميلة ومثقة » لم أكمل اذ قاطعتنى بحزن « وهـــل تعتقد أن احدا لم يتقدم لخطبتى ؟ ٠٠ لقد تقـــدم الكثيرون وما زالوا ٠٠ لكن المشكلة هى ان والـــدى يواجههم باسئلة معجزة الشقة والشبكة ٠٠ و ٠٠ و٠ وانت تعرف ماذا يملك شاب متخرج حديثا اذا ماعمل فى هيئة حكومية » ٠٠ احسست بغصـــــة فى حلقى ودوار يرفعنى من فوق هـــذه الارض حيث أذوب ٠٠ اتبخر ٠٠ اتصاعد لاعلى فى سحب ضبابية ترابية٠٠ لا تلبث أن تسقط فى الهاوية ٠٠ حيث يطأها الجميع بأقدامهم « ألم تحب من قبل ؟ » سألتنى ٠٠ عينـــاك يانادية هما مصباحى ٠٠ ميلادى الجديد ٠٠ القـوة

التى تجعلنى اتحدى ولكن من أين لى ·· هل يشبع والدك كلمات ··كتب··مثاليات اجبت·· « خطيبتى مسكينة تحلم اننى سوف اذهب لابيها يوما ما لاقدم له كل ما يريد » ·· « كلنا مساكين ·· الم اقل لك انا جيل متعب ·· منهك ؟ » اضفت مؤمنا على كلامها « ان آباءنا لم يكتفوا بالهاوية التى اسقطونا فيها بل ما زالوا يضيقون علينا الخناق ·· يريدون أن يصنعوا لحظتنا الحاضرة بل والمستقبلة » قالت « آه لو يدركون كم نعانى من سخافاتهم تلك ــ هم يعتقدون أنهم يصنعون لنا مستقبلا سعيدا » قالت ضاحكة « ها أنت اذن تعانى مثلنا ، لماذا لا تتحدث معنا اذن » ضغطت على يدها بعنف أحسست بحاجتى لنادية خطيبتى حبيبتى أكثر من اى لحظة اخرى مضت قلت « وماذا يجدى الحديث ، ان حديثنا عاجز عن صنع شىء ·· لكن لابد أن نتمرد يوما ما أن نصنع شيئاً نقتنع به » سألتنى « ألسنا على حق فى تسليتنا ؟ » لم أجب بشىء واقتربت منى أكثر تنهدت بألم « كم استريح عندما أجد من يسمع لى ·· أحس بأنى ازيح عن نفسى عبأ ثقيلا » ·· تركتها عند موقف العربات لتحجز مكانا لها فى « التيوتا » كما يطلقون عليها فى

« الفقاعة » قالت عند الوداع « من الغد سوف نتحدث أكثر ونلتقى أكثر ٠٠ يبدوا ان الملل الروتينى سوف يتبدد » ابتسمت ٠٠ وعدت الى المسكن حائرا ٠٠ فلم أجد مكانا اذ أن الحجرة والصالة كانتا مشغولتين بالدروس الخصوصية عدت الى الشارع آسير خطى عابثة ، واتذكر احدى المدرسات وهى جالسة على الارض أمام الفصل فى المدرسة لستمتع بالشمس وحولها أحد الزملاء يتحدث معها حديثا غير برىء وتنطلق ضحكات عالية تجعل الطلبة والطالبات يلتفتون اليهما ٠٠ ثم تتلاشى كل الصور وترتسم صورة نادية تقترب تنادى ٠٠ وأنا لا صوت لى حتى اجيب نداءها مقطوعة أحبالى الصوتية أصرخ دون صوت ، مأساة كبيرة موزعة علينا بالعدالة تحتوينا فى « الفقاعة » ٠

٧ ـ التحقيق : ـ

للمرة الاولى فى حياتى اذهب لمكتب محقق ٠٠ أثناء امتحانات اخر العام ٠٠ لم يعجبن تساهل الزملاء والزميلات فى المراقبة ٠٠ فعلت بلجنتى ما يجب أن يكون ٠٠ فى اليوم التالى اجتمع أولياء الامور حول المدرسة متظاهرين يطالبون بالانتقام منى ٠٠

استدعانى حضرة الناظر ‥ حـــاول آن يفهمنى أن اتساهل فى المراقبة ، سألته ان كانت هناك أوامـــر بذلك أو قوانين ؟ قال « لا نريد ان نثير ضدنا الناس ونحن غرباء فى « الفقاعة » رفضت فوجدت اسمى فى اليوم الثالث مستبعدا من المراقبة ‥

وظهرت النتيجة ‥ بعد خلافات شديدة مع الناظر لرفع النتيجة ‥ لم يكن يستحق فى الفصـــول التى صححتها الا خمسة أو عشرة طلاب ليس اكثر ، ففعلت ما يمليه على ضميرى وواجبى ‥ لم يعتمد الناظـــر النتيجة وصممت على موقفى ‥ أعاد أساتذة آخرون قراءة الورق ، لم يكن حتى بالسهولة قراءته‥الطلبة لا يعرفون ان يكتبوا فى كل المواد · فظهرت النتيجة قدم أولياء الامور شكاوى واتهمـــونى فيهـا بخفض النتيجة من أجل الدروس الخصوصية ، وحولنى الناظر لمدير المديرية ‥ س ، ج ‥

س : أنت متهم بتزوير النتيجة وتعمدت رســـوب الطلبة · ما ردك ؟

ج : ليس صحيحا ‥·

س : ومتهم بارغام الطلبة على الدروس الخصوصية ما ردك ؟

جـ : سل الناظر والاساتذة والطلبة انفسم ..

س : انت تسيء لزملائك وتتحدى الناظر .. ما دفاعك ؟

جـ : ......

س : ألست معى فى أن ينجح عشرة طلاب فقط من ثمانية وخمسين طالبا فى الفصل شيء غير معقول ؟ ..

جـ : ......

س : ...... ؟

جـ : ......

بعد التحقيق قلت للمدير هل تعتقد أن الاتهامات الموجهة لى صحيحة ؟

ـ بالتأكيد معظمها خطأ .

ـ هل تشك فى النتيجة ؟ ..

فشل عديد من زملائنا المدرســين ٠٠ وكان المدرس يرفع الصورة كأنه حقق انتصارا عظيما ٠

٨ ــ النهــاية : ــ

« الفقاعة » مأزق حلل آمالى وأضاع طموحاتى ٠ وضيق الخنق على ٠٠ ولن أجد مدرسة تختلف كثــيرا عن « الفقاعة »، ووجدت أن أذهب بنفسى لمكتب السيد مدير المديرية واعتذر له عن وقاحتى فى الحديث معه فى المرة السابقة واقدم له استقالتى ٠٠

فى ١٩٨٢/١٢/٣

ـ لا ··

ـ اذن تعرف أن هذا هو المستوى ؟

ـ نعم ··

ولماذا تفرضون على تغيير النتيجة ؟

ـ لأنه لو التزم كل الاساتذة بما تريده أنت لما نجح الغالبية العظمى ولاغلقت المدارس وعدنا نحن لبيوتنا ··

ـ ولماذا لا نبحث عن الخطأ ونصلحه ؟

ـ أنت مدرس وليس لك أن تتعدى حدودك ··

ـ اذن فمن حقى ان اصر على النتيجة وحولونى للوزير ان شئتم ··

ـ سوف تغيرها رغما عنك فنحن ملتزمون بنسبة نجاح محددة ـ لن تغيرها أنت ولا غيرك ··

ـ اما ان تستمر النتيجة كما هى أو استقيل ··

• • •

عدت اقص لزملائى فى السكن عن الذى دار بينى وبين المدير والمحقق ·· لم يستمعوا الى ·· سخروا منى ·· تركونى وجعلوا يحتفلون بأحد الزملاء الذى استطاع أن يحظى بصورة من الطالبة الحسناء رغم

للمؤلف تحت الطبــع

الحب والرحيــل

مجموعة قصصية
مع دراسة نقديــة للدكتــور

أحمـد السعــــدنى
استاذ مساعد النقد الأدبى
بآداب المنيـــا

كما يصدر قريبـا للمؤلف :

ـ تكوينات الــدم والتــراب ـ

• • •

فهـــرس — ص